

الدَّارُ الْآخِرَةُ

(١٦)

عَلَامَاتُ السَّاعَةِ الصَّغْرَى

الَّتِي لَمْ تَظْهَر

الشيخ/ندا أبو أحمد



الدَّارُ الْآخِرَةُ

علامات الساعة الصغرى التي لم تظهر

مُهَيِّدٌ

إِنِّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧١، ٧٠)

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله - تعالى -، وخير الهدي، هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثالثاً: العلامات الصغرى التي لم تظهر

- ١- انتفاخ الأهلة.
- ٢- نزول المطر وعدم إنبات الأرض.
- ٣- مطر من السماء لا يصمد أمامه بيوت الطين والحجر.
- ٤- تنفي المدينة شرارها كما ينفي الكير خبث الحديد.
- ٥- محاصرة المسلمين إلى المدينة.
- ٦- فناء قبيلة قريش.
- ٧- ظهور المسخ والخسف والقذف.
- ٨- جيش يغزو البيت يخسف بأوله وآخره.
- ٩- زوال الجبال من أماكنها.
- ١٠- تكليم السباع والجماد للإنسان.
- ١١- انحسار الفرات عن جبل من ذهب.
- ١٢- إخراج الأرض كنوزها المخبوءة.
- ١٣- عودة جزيرة العرب جنات وأنهاراً.
- ١٤- ظهور فتنة الأحلاس، وفتنة السراء، وفتنة الدهيماء.
- ١٥- عودة الخلافة الراشدة.
- ١٦- في آخر الزمان يلحق الناس بالشام.
- ١٧- عمران بيت المقدس، وخراب المدينة.
- ١٨- في آخر الزمان لا يقسم ميراث، ولا يفرح الناس فيه بغنيمة.
- ١٩- السجدة تكون خير من الدنيا وما فيها.
- ٢٠- خروج رجل يقال له: الجهجاه.
- ٢١- هدم الكعبة.
- ٢٢- ترك الحج لبيت الله الحرام.
- ٢٣- يرفع القرآن ويدرس الإسلام.
- ٢٤- غربة الإسلام.
- ٢٥- ظهور المهدي (اسمه ونسبه - صفاته - مدة حكمه وبقائه - مكان ظهور المهدي - وجوب مبايعة المهدي - يصلحه الله تعالى في ليلة - وفي زمان المهدي يكثر الخير - في زمن المهدي ينزل عيسى عليه السلام - خلاصة ما سبق - نظرة سريعة فيمن ادّعى أنه المهدي - إنكار بعض أهل العلم لحقيقة المهدي - شبهات المكذّبين لأحاديث المهدي)
- ٢٦- الملحمة الكبرى بين المسلمين والروم.
- ٢٧- فتح القسطنطينية الأخير.
- ٢٨- فتح رومية (روما).
- ٢٩- غزو الهند.
- ٣٠- قتال اليهود.
- ٣١- خروج رجل من قحطان يطيعه الناس.
- ٣٢- بقاء طائفة من المؤمنين ظاهرين على الحق إلى قيام الساعة.
- ٣٣- ريح طيبة تقبض أرواح المؤمنين.
- ٣٤- عودة بعض قبائل الرب لعبادة الأصنام.

مُقَدِّمَةٌ

وقبل الحديث عن العلامات الصغرى التي لم تظهر، هناك أمرٌ ينبغي أن نتنبّه له وهو إن ترقّب حصول
أشراط الساعة التي بإرادة الله ﷻ الكونية القدرية ليس بدعة ولا خطأ؛ خاصّةً إذا تعاقت الإرهاسات،
والمقدمات التي جاءت بها الأخبار؛ **ودليل ذلك أن الصحابة رضي الله عنهم لما سمعوا رسول الله ﷺ**
يُحَدِّثُهُمْ عَنِ الدَّجَالِ فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَعَ؛ ظَنُّوا أَنَّهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ. (رواه مسلم)، وشكّوا في ابن
صيّادٍ أنه المسيحُ الدّجالُ، بل منهم مَنْ أقسم لرسول الله ﷺ على ذلك، كعُمَرَ وجابر -رضي الله
عنهما-، ورسول الله ﷺ لم ينكر على عُمَرَ، **بَلْ قَالَ ﷺ: "إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ؛ فَأَنَا حَاجِبُهُ**
دُونَكُمْ"، وكذلك شكّت فيه حفصة وابن عمر، وغيرهما من الصحابة رضي الله عنهم.

وَيُرَوَّى عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ ﷺ قَالَ: "مَا تُوَيْسِنِي رِقَّةَ عَظْمِي، وَلَا بَيَاضَ شَعْرِي أَنْ أَلْقَى
عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ". (طبقات ابن سعد)

ولا يزال العلماء في كل عصر ومصرٍ يتكلمون بذلك، ويتوقّعون قربَ حصولِ بعضِ الأَشْرَاطِ،
قَالَ الْقُرْطُبِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: "كُلُّ مَا وَقَعَ فِي حَدِيثٍ مُعَاوِيَةَ هَذَا فَقَدْ شَاهَدَنَاهُ بِتِلْكَ الْبِلَادِ، وَعَايَنَّا
مُعَظَمَهُ إِلَّا خُرُوجَ الْمَهْدِيِّ". اهـ. (التنكرة: ص ٧٢٥).

وينبغي كذلك أن يُتَنَبَّهَ لِأَمْرَيْنِ: -

أَوَّلُهُمَا: أن تبقى هذه الأَشْرَاطُ التي سنتحدث عنها في دائرة التوقُّعِ المَظْنُونِ دون أن نتكلف إيجادها
بإِجْرَاءَاتٍ من عند أنفسنا؛ لأنها أمور كونية قدرية واقعة لا محالة، ولم نخاطب باستخراجها من عالم
الغيب إلى عالم الشهادة.

وِثَانِيَهُمَا: أن يُراعَى الترتيبُ الزماني لتسلسل الأَشْرَاطِ؛ طبقاً لما دلّت عليه نصوص الوحي الشريف،
وعدم القطع بزمان أو ترتيب ما لا دليل على زمنه وترتيبه، إلا الظن والتخمين.

لأن هناك أَشْرَاطَ للساعة قطعت النصوص بتعيين ترتيبيها؛ مثل: الدّجالُ، يليه نزول المسيح، يليه يأجوج
ومأجوج، **فَقَدْ أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: "عِمْرَانُ بَيْتَ الْمَقْدَسِ خَرَابٌ يَثْرِبُ، وَخَرَابٌ يَثْرِبُ**

خُرُوجَ الْمَلْحَمَةِ، وَخُرُوجَ الْمَلْحَمَةِ فَتَحَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ، وَفَتْحَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ خُرُوجَ الدَّجَالِ".

(حسنه الألباني في "صحيح أبي داود" رقم: ٣٦٠٩)

ومنها: مقدمات إجمالية ذُكِرَتْ دون تعيين ترتيبيها بالنسبة لما يتوقع من الأَشْرَاطِ؛ كانهسار الفرات عن
جبل من ذهب، وعودة أرض العرب مروجاً وأنهاراً... ونحو ذلك.

العلامات الصغرى التي لم تظهر

١ - انتفاخ الأهلة:

من الأدلة على اقتراب الساعة أن يرى الهلال عند بدو ظهوره كبيراً، حتى يقال ساعة خروجه: إنه ليلتين أو ثلاثة، فقد أخرج الطبراني في "الكبير" عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
"من اقتراب الساعة انتفاخ الأهلة". (صحيح الجامع: ٥٨٩٨)

وأخرج الطبراني كذلك في "الأوسط". عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من اقتراب الساعة أن يرى الهلال قبلاً، فيقال: لِلَّيْلَتَيْنِ، وأن تتخذ المساجد طُرُقاً، وأن يظهر موت الفجأة". (صحيح الجامع: ٥٨٩٩)

- وفي رواية أخرى عند الطبراني في "الصغير والأوسط" عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "من اقتراب الساعة انتفاخ الأهلة، وأن يرى الهلال لليلة، فيقال: هو ابن ليلتين". (الصحيحة: ٢٢٩٢).

٢ - نزول المطر وعدم إنبات الأرض:

ومن علامات الساعة التي أخبر عنها النبي ﷺ: نزول مطر عام من السماء، ولا تنبت الأرض شيئاً من النبات والثمار.

فقد أخرج الإمام أحمد وأبو يعلى عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "لا تقوم الساعة حتى يُمطرَ الناس مطراً عاماً، ولا تنبت الأرض شيئاً".

(قال الهيثمي في "المجمع": رجاله ثقات، وقال ابن كثير في "النهاية في الفتنة والملاحم" (١/١٨٠): إسناده جيد) وليست العبرة بعدم نزول المطر، ولكن العبرة بعدم إنبات الأرض، وهذا هو السنّة (القحط)، الذي بيّنه النبي ﷺ في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "ليست السنّة بأن لا تُمطرُوا، ولكن السنّة^(١) أن تُمطرُوا وتُمطرُوا ولا تنبت الأرض شيئاً".

- وفي رواية أخرى عند الإمام أحمد: "إن السنّة ليس بأن لا يكون فيها مطر، ولكن السنّة أن يُمطرَ الناس ولا تنبت الأرض".

(١) السنّة: أي القحط والجذب.

• وذهاب بركة الأرض وعدم إنباتها راجع إلى كثرة الذنوب والمعاصي.

لكن إذا عاد المسلمون إلى ربهم، وعمّ العدل والسلام الأرض؛ أخرجت الأرض كنوزها؛ وأكل المسلمون من فوقهم ومن تحت أرجلهم، كما قال تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

[الأعراف: ٩٦]

يقول ابن القيم كما في كتابه " الجواب الكافي ":

" فإذا أراد الله أن يُطَهِّرَ الأرض من الظلمة والخونة والفجرة؛ يخرج عبداً من عباده من أهل بيت نبيه ﷺ؛ فيملا الأرض قسطاً كما ملئت جوراً، ويقتل المسيح اليهود والنصارى، ويقيم الدين الذي بعث الله به رسوله، وتخرج الأرض بركتها وتعود كما كانت، حتى أن العصابة من الناس ليأكلون من الرمانة ويستظلون بقحفاتها، ويكون العنقود من العنب وقر بعير، ولبن اللقحة الواحدة يكفي الفئام من الناس. وهذا لأن الأرض لما طهرت من المعاصي؛ ظهرت فيها آثار البركة من الله تعالى التي محقتها الذنوب والكفر. اهـ.

فانظر إلى بركات التقوى وإقامة العدل، واعلم أن ما نحن فيه من قلة البركة، ونقص الثمار، وكثرة الآفات والأمراض؛ إنما هو نتيجة حتمية لضعف وازع التقوى وكثرة المعاصي، كما قال تعالى:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

٣- مطر من السماء لا تصمد أمامه بيوت الطين والحجر:

فلقد أخبر النبي ﷺ أن من علامات الساعة نزول مطر من السماء، لا تصمد أمامه بيوت الطين والحجر، وإنما تصمد أمامه الخيام المبنية من وبر الإبل.

أخرج الإمام أحمد وابن حبان عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: " لا تقوم الساعة حتى يُمَطَّرَ النَّاسُ مَطَرًا لَا تَكُنْ ^(١) مِنْهُ بِيُوتُ الْمَدَرِ ^(٢)، وَلَا تَكُنْ مِنْهُ إِلَّا بِيُوتُ الشَّعْرِ ".

(قال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم)

(١) لا تَكُنْ: أي لا تمنع من نزول الماء.

(٢) المدر: الطين المتماسك، وأهل المدر هم أهل القرى والأمصار.

٤- تنفي المدينة شرارها كما ينفي الكير خبث الحديد:

فقد أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "يأتي على الناس زمانٌ يدعو الرجل ابن عمه وقريبه هُلُمَّ إلى الرخاء، هُلُمَّ إلى الرخاء، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون. والذي نفسي بيده لا يخرج منهم أحدٌ رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيراً منه، إلا إن المدينة كالكير تُخرج الخبيث، لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها كما ينفي الكير خبث الحديد".

وروي عن عمر بن عبد العزيز -رحمه الله-:

أنه خرج من المدينة فالتفت إلى مزاحم مولاه، فقال: يا مزاحم، أتخشى أن نكون ممّن نَفَثَ المدينة؟

تنبيهان:

- ١- لا يعني أن من سكن المدينة ثم انتقل عنها وفارقها أنه من شرار الناس، كلا. فقد انتقل عن المدينة صحابة أخيار، وتحولوا منها إلى غيرها من أجل الجهاد والدعوة.
- ٢- حمل القاضي عياض نفي المدينة لخبثها في زمن النبي ﷺ، وحمله النووي على زمن الدّجال. وذكر الحافظ ابن حجر -رحمه الله- أنه يُحتمل أن يكون المراد كلاً من الزمنين، وأما خروج الناس بالكلية من المدينة وخرابها؛ فذلك سيكون في آخر الزمان قريباً من قيام الساعة، ويكون الخروج منها لفقرها.

٥- محاصرة المسلمين إلى المدينة:

من أشرط الساعة أن يُهْزَمَ المسلمون، ويحيط بهم أعداؤهم، ويحاصرونهم في المدينة المنورة. دليل ذلك ما أخرجه أبو داود والحاكم عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: "يوشك المسلمون أن يُحَاصَرُوا إلى المدينة، حتى يكون أبعد مَسَاحِهِمْ (١) سَلَاخٌ (٢)".

(صحيح الجامع:

٨١٨١).

(١) والمسالح، جمع مَسْلُحَةٍ، وهي الثَّغْر، والمراد أبعد مواضع المخافة من العدو.
(٢) وسَلَاخ، موضع قريبٌ من خيبر.

٦- فناء قبيلة قريش:

وهذه علامة من علامات الساعة دل عليها الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد بسند صحيح عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: "دخل عليّ رسول الله ﷺ وهو يقول: يا عائشة، قومك أسرع أمّتي بي لاحقاً^(١)، قالت: فلما جلس قلت: يا رسول الله، جعلني الله فداك، لقد دخلت عليّ وأنت تقول كلاماً ذعرتني. قال: وما هو؟ قالت: تزعم أن قومي أسرع أمّتك بك لاحقاً، قال: نعم. قالت: وممّ ذلك؟ قال: تستحلّهم المنايا^(٢) وتنفس عليهم أمّتهم. قالت: فقلت: فكيف الناس بعد ذلك - أو عند ذلك؟ - قال: دبي^(٣) يأكل شداؤه ضعافه حتى تقوم عليهم الساعة".

٧- ظهور المسخ والخسف والقذف:

والمسخ: هو قلب الخلق من شيء إلى شيء، كما عاقب الله ﷻ فريقاً من بني إسرائيل؛ فمسخهم قردة وخنازير، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [الأعراف: ١٦٦].

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ [المائدة: ٦٠].

والخسف: انشقاق الأرض وابتلاعها ما فوقها كما حدث بقارون، كما قال تعالى عنه:

﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ [القصص: ٨١].

والقذف: الرمي بحجارة من السماء، كما وقع لقوم شعيب لما عاقبهم الله ﷻ بحجارة نزلت من السماء، وعاقب أبرهة وقومه لما جاءوا لهدم الكعبة؛ فرماهم بحجارة من سجيل. والمسوخ والخسف والقذف عقوبات تقع على بعض الناس بسبب ارتكابهم لبعض الذنوب: كشرب الخمر، والاستماع إلى الأغاني، ولبس الحرير للرجال، والوقوع في الزنا، وأكل الربا، واستحلال ذلك... وهذا كله سببٌ لإنزال هذه العقوبة بهم، وهذا علامة من علامات الساعة.

(١) وقول النبي ﷺ: "يا عائشة قومك أسرع أمّتي بي لاحقاً" دليل على أن أسرع قبائل العرب فناء هي قريش، ومما يدل على ذلك ما أخرجه الإمام أحمد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "أسرع قبائل العرب فناءً قريش، ويوشك أن تمر المرأة بالنعل، فتقول: هذا نعل قُرشي".

(٢) المنايا: جمع منية، وهو الموت، والمعنى: أن الموت يراهم صيداً حلواً، فيهمج عليهم.

(٣) دبي: هو الجراد قبل أن يطير، وقال أبو عبد الرحمن: فسره رجل: هو الجنادب التي لم تنبت أجنحتها. اهـ. والجنادب جمع جندب، وهو الجراد.

• وإليك أخي الحبيب باقة من هذه الأحاديث والتي أخبر فيها الرسول ﷺ بهذه العقوبة
ففي معجم الطبراني " الكبير " بإسناد صحيح عن سهل بن سعد ؓ أن الرسول ﷺ قال:
" سيكون في آخر الزمان خسف وقذف ومسح، إذا ظهرت المعازف والقينات، واستحلّت الخمر".

(صحيح الجامع: ٣٦٦٥)

وأخرج ابن ماجه عن ابن مسعود ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: " بين يدى الساعة مسحٌ
وخسفٌ وقذفٌ " (صحيح الجامع: ٢٨٥٦).

ولقد جاء الوعيد الشديد لأهل المعازف والخمر بتلك العقوبات.

فقد أخرج الترمذي عن عمران بن حصين ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: " في هذه الأمة
خسف ومسح وقذف، فقال رجل من المسلمين: يا رسول الله، ومتى ذلك؟ قال: إذا ظهرت
القينات^(١) والمعارف^(٢) وشربت الخمر ". (صحيح الجامع: ٤٢٧٣).

وروى أبو نعيم في " أخبار أصبهان " بإسناده إلى ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال
رسول الله ﷺ: " لبيتن أقوام من هذه الأمة على طعام وشراب ولهو، فيصبحوا قد مسّخوا
قردة وخنازير ". (السلسلة الصحيحة: ١٦٠٤)

وروى البخاري تعليقاً عن أبي عامر أو أبي مالك أن النبي ﷺ قال: " ليكونن من أمتي
أقوام يستحلّون الحرّ والحريم والخمر والمعزف، ولينزلن أقوام إلى جنب علم، يروح عليهم
بسارحة لهم، يأتيهم لحاجة، فيقولون: ارجع إلينا غداً، فيبيتهم الله، ويضع العلم، ويمسح
آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة ". (السلسلة الصحيحة: ٩١).

- وأخبر النبي ﷺ أن وقوع الخسف والمسح والقذف أيضاً سيكون في أنواع من أهل البدع المخالفين في
العقيدة مثل (الزنادقة) - وهم أهل النفاق الأكبر والإلحاد - (والقدرية) - وهم المكذبون بتقدير الله ﷻ
لمقادير وأفعال والعباد.

فقد أخرج الإمام أحمد عن نافع -رحمه الله- قال: " فبينما نحن عند عبد الله بن عمر -
رضي الله عنهما- قعود، إذ جاء رجل، فقال: إن فلاناً يقرأ عليك السلام - لرجل من أهل
الشام- فقال عبد الله ﷺ: بلغني أنه أحدث حدثاً، فإن كان كذلك، فلا تقرأن عليه مني
السلام، سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنه سيكون في أمتي مسح وقذف، وهو في الزندقية
والقدرية ". (صححه أحمد شاكر -رحمه الله-)

(١) والقينات: جمع قينة، وهي المرأة المفنية. (لسان العرب: ٣٠٠/١٣).
(٢) المعارف: آلات اللهو والغناء، ومفرده: معزف. (لسان العرب: ٢٤٤/٩)

وقد أخبرنا الرسول ﷺ ببعض المواضع التي فيها الخسف والقذف والمسح، ففي " سنن أبي داود " بإسناد صحيح عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: " يا أنس، إن الناس يمضون أمصاراً، فإن مصراً يقال له: البصرة، فإن أنت مررت بها أو دخلتها، فأياك وسباخها وكلاها ونخيلها وسوقها وباب أمرائها، وعليك بضواحيها، فإنه يكون بها خسف وقذف ورجف، وقوم يبيتون ويصبحون قردة وخنازير ". (مشكاة المصابيح: ٥٤٣٣)

تنبيه مهم:

علينا جميعاً بالقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لا يكثر الخبث، فإذا كثر الخبث فإن الخسف والقذف والمسح سيعم الجميع ولم ينبُ منه أحد.

- ودليل ذلك ما أخرجه الترمذي بسند صحيح من حديث عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ قال: " سيكون في هذه الأمة خسفٌ ومسحٌ وقذفٌ، قالت: يا رسول الله! أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا ظهر الخبث ". (صحيح الجامع: ٨١٥٦).

وأخرج البخاري ومسلم عن زينب بنت جحش - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ دخل عليها يوماً فزَعاً يقول: " لا إله إلا الله، ويلٌ للعرب من شرٍّ قد اقترَب، فُتِحَ من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه - وحلق بإصبعيه الإبهام والتي تليها - قالت زينب بنت جحش: فقلت: يا رسول الله: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا كثر الخبث ".

٨- جيش يغزو البيت يُخسف بأوله وآخره:

مرّ بنا في العلامة السابقة: أنه سيكون آخر الزمان خسفٌ ومسحٌ وقذفٌ.

ومن الخسوف الكبيرة التي تكون قرب قيام الساعة، الخسف بجيش كامل في آخر الزمان، كما في الحديث الذي يرويه الإمام أحمد عن بقيرة امرأة القعقاع بن أبي حدرد الأسلمي قالت: سمعت رسول الله ﷺ على المنبر يقول: " يا هؤلاء، إذا سمعتم بجيش قد خُسف به قريباً، فقد أظلت الساعة ". (السلسلة الصحيحة: ١٣٥٥)

وأخرج النسائي والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ وقال: " لا تنتهي البعوث عن غزو هذا البيت حتى يخسف بجيش منهم ".

- وفي رواية: " لا ينتهي عن غزو بيت الله حتى يخسف بجيش منهم ".

والجيش الذي خرج يغزو البيت الحرام طلباً لرجل من قريش للوقية به وهو المهدي؛ يخسف بأوله وآخره، ويبعثون يوم القيامة على نياتهم.

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث عبيد الله بن القبطية قال: " دخل الحارث بن أبي ربيعة، وعبد الله بن صفوان وأنا معهما على أم سلمة، فسألاها عن الجيش الذي يخسف به؟ وذلك في أيام عبد الله بن الزبير لما كان في حربه مع الحجاج بن يوسف، وكان ابن الزبير متحصناً بالبيت الحرام بمكة، فقالت: قال رسول الله ﷺ: " يعوذ عائذ بالبيت؛ فيبعث إليه بعث، فإذا كانوا بببداء (١) من الأرض خُسف بهم، فقلت: يا رسول الله، فكيف بمن كان كارهاً؟ قال: يُخسف به معهم، ولكنه يُبعث يوم القيامة على نيته ."

- وفي الحديث تحذير من صحبة الأشرار ومرافقتهم، حتى لا يعاقب معهم عند نزول البلاء.
- وفي الحديث فضل المهدي حيث يحميه الله ﷻ ويخسف بهذا الجيش كرامة له.
- وفي الحديث دليل على أنهم يخسف بهم قبل أن يصلوا إلى الكعبة.

وأخرج الإمام مسلم عن عائشة-رضي الله عنها- قالت: " عُبِّثَ (٢) رسول الله ﷺ في منامه، فقلنا: يا رسول الله، صنعتَ شيئاً في منامك لم تكن تفعله؟ فقال: العجب أن ناساً من أُمَّتِي يُؤْمُونُ (٣) هذا البيت لرجل من قريش، قد لجأ بالبيت، حتى إذا كانوا بالببداء خُسف بهم، فقلنا: يا رسول الله، إن الطريق قد يجمع الناس، فقال: نعم. فيهم المستبصر (٤)، والمجبور (٥) وابن السبيل، يهلكون مهلكاً واحداً ، ويصدرون مصادر (٦) شتى (٧) ، يبعثهم الله ﷻ على نياتهم ."

(١) الببداء: المفازة، وهي الأرض القفر الواسعة، وقد جاء في بعض الروايات عند مسلم عن زهير عن عبد العزيز بن رفيع قال:

" فلقبت أبا جعفر فقلت: إنما قالت: بببداء من الأرض " ، فقال أبو جعفر: " كلا والله، إنها لببداء المدينة. اهـ

وهي معروفة بالقرب من ذي الحليفة إلى جهة مكة، كما جاء في رواية أبي يعلى عن أم سلمة- رضي الله عنها- بالببداء من ذي الحليفة"

(٢) عُبِّثَ: بكسر الباء، أي تحرك جسمه الشريف، أو بعضه، وقيل: حرك أطرافه كمن يأخذ شيئاً، أو يدفعه (انظر شرح النووي: ٦/١٨)

(٣) يُؤْمُونُ البيت: يقصدونه.

(٤) المستبصر: المستبين للأمر، القاصد له.

(٥) المجبور: المكره المقهور من دون اختيار.

(٦) المصادر: المراجع، يقال: ورد ثم صدر، أي: جاء ثم رجع.

(٧) شتى: متفرقة، والمقصود: أن مهلك هذا الجيش مهلك واحد يخسف بهم جميعاً، إلا أنهم يصدرون عن الهلكة مصادر متفرقة، فواحد في الجنة، وآخر في النار على قدر أعمالهم ونياتهم.

وفي رواية عند البخاري قالت -رضي الله عنها-: قال رسول الله ﷺ: "يغزو جيش الكعبة، فإذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم، قالت: قلت: يا رسول الله! كيف يُخسف بأولهم وآخرهم، وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم؟ قال: يُخسف بأولهم وآخرهم، ويُبعثون على نياتهم".

وأخرج الإمام مسلم عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله ﷺ قال: "سيعوذ بهذا البيت - يعني الكعبة - قوم، ليست لهم منعة^(١)، ولا عدد، ولا عدة، يبعث إليهم جيش، حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض خُسف بهم".

وفي رواية عند الإمام أحمد عن أم المؤمنين حفصة -رضي الله عنها- أن النبي ﷺ قال: "ليؤمنن هذا البيت جيش يغزونه، حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأوسطهم، وينادي أولهم وآخرهم، ثم يخسف بهم، فلا يبقى إلا الشريد الذي يخبر عنهم^(٢)، فقال رجل: أشهد عليك أنك لم تكذب على حفصة، وأشهد على حفصة أنها لم تكذب على النبي ﷺ".

٩- زوال الجبال من أماكنها:

خلق الله الجبال ثابتة وهي رواسي للأرض، وقد أخبر النبي ﷺ أن من علامات الساعة زوال الجبال من أماكنها، فإذا أن يكون هذا زوالاً حقيقياً بخسف أو زوال بفعل الناس، من كثرة البناء وتسوية الجبال أو يكون بتهدم الجبال، وكثرة الانهيارات الصخرية كما يحصل اليوم.

فقد أخرج الطبراني عن سمرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "لا تقوم الساعة حتى تزول الجبال عن أماكنها وترون الأمور العظام التي لم تكونوا ترونها". (السلسلة الصحيحة: ٣٠٦١).

١٠- تكليم السباع والجماد للإنسان:

أخبر النبي ﷺ أن من علامات الساعة أن تتكلم السباع والوحوش، ويتكلم طرف السوط، وشراك النعل، وفخذ الرجل. فقد أخرج الترمذي والحاكم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس وحتى يكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله، ويخبره فخذُه بما يحدث أهله بعده".

(١) منعة: يقال فلان في عزٍّ ومنعة، أي قوة تمنع من يريدهم بسوء، وقد تفتح النون، وقيل هي بالفتح جمع مانع، مثل كافر وكفرة. (انظر النهاية: ٤/٣٦٥)
(٢) الشريد: يعني يبقى منهم رجل واحد ينجو من الخسف، فيخبر الناس بحال الجيش المخسوف به.

والحديث بتمامه أخرجه الإمام أحمد في "مسنده" عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: "عدا الذئب على شاة فأخذها، فطلبه الراعي فانترعها منه، فأقعى^(١) الذئب على ذنبه قال: ألا تتقي الله؛ تنزع مني رزقاً ساقه الله إليّ؟! فقال: يا عجبى! ذئب مُقْعٍ على ذنبه يُكَلِّمُنِي كلام الإنس؟! فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك؟! محمد صلى الله عليه وسلم بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق، قال: فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة فزواها إلى زاوية من زواياها، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودي: الصلاة جامعة، ثم خرج، فقال للراعي: "أخبرهم" فأخبرهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "صدق، والذي نفسي بيده؛ لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع^(٢) الإنس، ويكلم الرجل عذبة^(٣) سوطه^(٤)، ويخبره فخذ بهما أحدث أهل بعده" (السلسلة الصحيحة: ١٢٢)

وأيضاً جاء في بعض الروايات أن البقرة ستتكلم. فقد أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "بينما رجل يسوق بقرة له قد حمل عليها، التفتت إليه البقرة فقالت: إني لم أخلق لهذا، ولكني إنما خلقت للحرث، فقال الناس: سبحان الله! تعجباً وفزعاً، أبقرة تكلم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني أؤمن به، وأبو بكر وعمر".

تنبيه:

قال البعض: "إن المقصود بتكلم طرف السوط وشراك النعل والفخذ؛ إنما هو إخبار عما يصل إليه البشر من علوم واختراعات، ووسائل اتصال حديثة، وأجهزة تصنت تنقل أدق الأصوات، وإن الجمادات قد نطقت في هذا الزمان: كالراديو والتلفاز. والراجح أننا نحمل الحديث على ظاهره، ولا مانع من تكلم الحيوانات للإنسان كما مر بنا، بل أخبرنا رب العالمين في كتابه الكريم أن أعضاء الإنسان ستشهد عليه يوم القيامة. قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَشَهِدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥].

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَجُلُودُهُمْ لَمْ شَهِدْ تُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [فصلت: ٢١].

(١) فأقعى: جلس على استه.
(٢) "السباع" هي سباع الوحش: كالأسد والنمر... ونحو ذلك، أو سباع الطير كالبازي ولا مانع من الجمع. (أشار إلى بعض ذلك المباركفوري في "تحفة الأحوذى" (٤٠٩/٦).
(٣) العذبة: هي الطرف. والسوط: هو الذي يجلد به.
(٤) في بعض الروايات: "وشراك نعله"، وهو أحد سيور النعل التي تكون على وجهها.

١١ - انحسار الفرات عن جبل من ذهب:

ونهر الفرات هو نهر بالعراق كثير الماء، وقد أخبر النبي ﷺ: أن من علامات الساعة أن ماء هذا النهر ينحسر عن جبل من الذهب تقوم عليه مقتلة عظيمة بين الناس.

دليل ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: " لا تقوم الساعة حتى يحسّر^(١) الفرات - عن جبل من ذهب، يقتتل عليه الناس، فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون، فيقول كل رجل منهم: لعلني أكون أنا أنجو "

وأخرج الإمام مسلم عن عبد الله بن الحارث بن نوفل ؓ قال: " كنت واقفاً مع أبي بن كعب ؓ فقال: لا يزال الناس مختلفة أعناقهم^(٢) في طلب الدنيا. قلت: أجل، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: يوشك الفرات أن يحسّر عن جبل من ذهب، فإذا سمع به الناس ساروا إليه، فيقول من عنده: لئن تركنا الناس يأخذون منه ليذهبن به كله، قال: فيقتتلون عليه، فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون "

تنبيه:

نهى النبي ﷺ من حضر هذا الكنز ألا يأخذ منه شيئاً.

فقد أخرج الإمام مسلم عن أبي ابن كعب ؓ قال: قال رسول الله ﷺ:

" يوشك الفرات أن يحسّر عن جبل من ذهب، فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً "

وقد بين الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في " فتح الباري " (١٣/٤١): أن نهى النبي ﷺ عن عدم الأخذ منه شيئاً؛ لما ينشأ عن أخذه من الفتنة والقتال عليه.

(١) يحسّر: أي ينكشف لذهاب مائه، ومعنى انحساره: انكشافه لذهاب مائه، كما يقول النووي - رحمه الله - في الشرح على مسلم (٩/١٨): وقد يكون ذلك بسبب تحول مجراه، فإن هذا الكنز أو هذا الجبل مغمور بالتراب، وهو غير معروف، فإذا ما تحول مجرى النهر بسبب من الأسباب ومراً قريباً من هذا الجبل كشفه. والله أعلم بالصواب. اهـ.

- واليوم تقيم تركيا وسوريا سدوداً على نهر الفرات، وتقيم عنده المصانع، مما أدى إلى قلة جريان الماء فيه، فقد يكون هذا مقدمات لظهور ذلك الجبل. (نهاية العالم للعريفي)

(٢) مختلفة أعناقهم: قال النووي -رحمه الله- كما في " شرح مسلم " (٧٤٥/٥): قال العلماء: المراد بالأعناق هنا الرؤساء والكبراء، وقيل: الجماعات، وقال القاضي: وقد يكون المراد بالأعناق نفسها، وعبر بها عن أصحابها، لا سيما وهي التي بها التطلع والتشوق للأشياء.

١٢- إخراج الأرض كنوزها المخبوءة:

ففي آخر الزمان تكشف الأرض عن كنوزها المدفونة فيها، ومع هذا يزهد الناس في المال لكثرتهم. أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "تقيء الأرض أفلاذ كبدها^(١)، مثل الأسطوانات من الذهب والفضة، فيجيء القاتل فيقول: في هذا قتلت^(٢)!، ويجيء القاطع فيقول: في هذا قطعت رحمي!، ويجيء السارق فيقول: في هذا قطعت يدي!، ثم يدعونه، فلا يأخذون منه شيئاً".

إشكال... والرد عليه.

في هذا الحديث يترك الناس المال لاستفاضة، بينما في الحديث السابق يبين النبي ﷺ أن الناس سيقتلون على جبل من ذهب، فهل هناك تعارض؟

والجواب: أنه ليس هناك تعارض، والرد على ذلك:

- أنه ربما كان هذا في زمن كان الناس في حاجة للمال لذا كان القتال، بينما استفاضة المال وترك الناس لهذه الكنوز ربما يكون في زمان آخر، حيث يعم الرخاء ويكثر المال.
- أو ربما يكون المقصد بقول النبي ﷺ في هذا الحديث: "ثم يدعونه" أي يدعونه رغماً عنهم، لأنه سيحصل اقتتال عظيم؛ فيموت الناس ويتركون المال.

١٣- عودة جزيرة العرب جنات وأنهاراً:

فمن علامات الساعة أن تعود صحراء جزيرة العرب الجرداء القاحلة والتي تبلغ ٧٠% من مساحة الجزيرة، ستعود هذه الصحراء إلى جنات وأنهاراً.

أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض، حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحداً يقبلها منه، وحتى تعود أرض العرب مروجاً^(٣) وأنهاراً".

(١) وقال النووي -رحمه الله- في "شرح على مسلم" (٩٨/١٨): وهذه آية من آيات الله، حيث يأمر الحق سبحانه الأرض أن تخرج كنوزها المخبوءة في جوفها، وقد سمى الرسول ﷺ تلك الكنوز (أفلاذ الكبدي)، وأصل الفلذ "القطعة من كبد البعير"، وقال غيره: هي القطعة من اللحم، ومعنى الحديث: التشبيه، أي تخرج ما في جوفها من القطع المدفونة فيها، والأسطوانات جمع أسطوانة، وهي السارية والعمود، وشبهه بالأسطوان لعظمته وكثرتهم.

(٢) في هذا قتلت: أي من أجل هذا قتلت.

(٣) المروج: هي الأرض ذات الكلأ التي ترعى فيها الدواب، وتكون نباتاتها كثيرة، وهذا الحديث فيه دليل على أن أرض العرب كانت مروجاً وأنهاراً، وأنها ستعود مرة أخرى مروجاً وأنهاراً كما كانت.

وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: " لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً، وحتى يسير الراكب بين العراق ومكة لا يخاف إلا ضلال الطريق ^(١)، وحتى يكثر الهرج، قالوا: وما الهرج يا رسول الله؟ قال: القتل ".
وعودة جزيرة العرب جنات وأنهاراً، إما بسبب ما يقوم أهلها من حفر الآبار، وزراعة الأرض... ونحو ذلك، وإما بسبب تغير المناخ، ويفجر خالقها فيها الأنهار والعيون ما يحول جذبها خصباً.

وأخرج الإمام مسلم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: " خرجنا مع رسول الله ﷺ عام غزوة تبوك، فكان يجمع الصلاة، فصلّى الظهر والعصر جميعاً، والمغرب والعشاء جميعاً، حتى إذا كان يوماً آخر الصلاة، ثم خرج فصلّى الظهر والعصر جميعاً ثم دخل، ثم خرج بعد ذلك فصلّى المغرب والعشاء جميعاً، ثم قال: إنكم ستأتون غداً - إن شاء الله - عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار، فمن جاءها منكم فلا يمس من مائها شيئاً حتى آتي، فجئناها، وقد سبقنا إليها رجلان، والعين مثل الشراك ^(٢) تبض ^(٣) بشيء من ماء، فسألها رسول الله ﷺ هل مسستما من مائها شيئاً؟ قال: نعم. فسبّهما النبي ﷺ وقال لهما ما شاء الله أن يقول، ثم عرفوا بأيديهم من العين قليلاً قليلاً حتى اجتمع في شيء، وغسل رسول الله ﷺ فيه يده ووجهه، ثم أعاده فيها، فجرت العين بماء منهمر غزير حتى استقى الناس، ثم قال: يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة، أن ترى ما ههنا قد ملئ جناناً ^(٤) ".

(١) أي يخاف أن يضيق الطريق.
(٢) الشراك: سير النعل: والمعنى: ماء قليل.
(٢) تبض: تسيل سيلاً قليلاً، شبه الرش.
(٤) جناناً: أي عمراً وبساتين.

١٤- ظهور فتنة الأحلاس، وفتنة السراء، وفتنة الدهيماء:

فقد أخبر النبي ﷺ: أنه لن تقوم الساعة حتى يسبقها فتن ثلاث، كما ورد بذلك الحديث.

فقد أخرج أبو داود والإمام أحمد والحاكم عن عبد الله بن عمر-رضي الله عنهما- قال: كُنَّا فُجُودًا عند رسول الله ﷺ، فذكر الفتن فأكثر في ذكرها، حتى ذكر فتنة الأحلاس، فقال: قائل: يا رسول الله، وما فتنة الأحلاس^(١)؟ قال: هي هَرَبٌ^(٢) وحرب^(٣)، ثم فتنة السراء^(٤)، دُخْنُهَا^(٥) من تحت قَدَمَي رَجُلٍ من أهل بيتي^(٦)، يزعم أنه مِنِّي^(٧)، وليس مِنِّي^(٨)، وإنما أوليائي المتقون، ثم يصطليح الناس على رجلٍ^(٩) كَوْرِكٍ^(١٠) على ضِلَعٍ^(١١). ثم فتنة الدهيماء^(١٢) لا تدع أحداً من هذه الأمة إلا لطمته لطمَةً^(١٣)، فإذا قيل: انقضت^(١٤)، تَمَادَتِ^(١٥)؛ يصبح الرَّجُلُ فيها مؤمناً ويمسي كافراً^(١٦)، حتى يصير الناس إلى فُسْطَاطَيْنِ^(١٧): فسطاط إيمان لا نفاق فيه^(١٨)، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه^(١٩)، فإذا كان ذاكم فانتظروا الدَّجَالَ^(٢٠) من يومه أو من غده ". (السلسلة الصحيحة: ٩٧٤).

- (١) الأحلاس: جمع جُلَس، وهو الكساء الذي يلي ظهر البعير تحت القتب (الرحل الخشبي). شبهت به الفتنة لملامزمتها للناس حين تنزل بهم كما يلزم الحلس ظهر البعير، وقال الخطابي: يحتمل أن تكون هذه الفتنة شُبِهُت بالأحلاس لسواد لونها وظلمتها.
- (٢) هَرَبٌ: بفتحين: أي يفر بعضهم من بعض، لما بينهم من العداوة والمحاربة.
- (٣) وحرب: نهب مال الإنسان وتركه لا شيء له (النهاية)، وقال الخطابي: ذهاب المال والأهل.
- (٤) فتنة السراء: قال القارئ: والمراد بالسراء: النعماء التي تسر الناس من الصحة والرخاء والعافية من البلاء والوباء، وأضيفت إلى السراء؛ لأن السبب في وقوعها ارتكاب المعاصي بسبب كثرة التمتع، أو لأنها تسر العدو. اهـ.
- (٥) دُخْنُهَا: قال صاحب "عون المعبود": يعني ظهورها وإثارتها، وأصل ظهورها من هذا الرجل، فشبهها بالدخان الذي يرتفع ويثور، ودُخِنَت النار تدخن: إذا أُلْقِيَ عليها حطب رطب فكثُر دخانها، وجاء في بعض الروايات: "دُخِلَهَا" يعني: الغش والعيب والفساد.
- (٦) "من تحت قدمي رجل من أهل بيتي": تنبيهاً على أنه هو الذي يسعى في إثارتها أو أنه يملك أمرها.
- (٧) يزعم أنه مِنِّي: أي هو مني في النسب، ولكنه ليس مني في الفعل، فأنا بريء من فعله، وإن كان من أهل بيتي، وهو ليس من أوليائي في الحقيقة: ويؤيده قوله: "وإنما أوليائي المتقون"، وهذا الرجل هو الباعث على إقامة تلك الفتنة.
- (٨) وليس مِنِّي: أي ليس من أخلأني لأنه يهيج الفتنة، ومثل ذلك قوله ﷺ لنوح لما قال نوح: {إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي...} فقال الله ﷻ: {إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ...} [هود: ٤٥، ٤٦].
- (٩) ثم يصطليح الناس على رجل: أي يجتمعون على بيعة رجل.
- (١٠) كَوْرِكُ: الورك هو ما فوق الفخذ، كالكتف فوق العضد، الْوَرَكُ بفتح الواو وكسر الراء.
- (١١) على ضلع: والضلع مفرد ضلوع وأضلاع، والضلع هو عظم الصدر، وهو بفتح اللام ويجوز تسكينها، والمعنى كما قال القاري-رحمه الله-: أنه لا يكون على ثبات، لأن الورك لنقله لا يثبت على الضلع لدقته، والمعنى: أن يكون غير أهل للولاية لقلة علمه وخفة رأيه. وقال الخطابي: وهو مثلٌ ومعناه: الأمر الذي لا يثبت ولا يستقيم، وذلك أن الضلع لا يقوم بالورك، وبالجمله، يريد: أن هذا الرجل غير خليق للملك ولا مستقل به" اهـ.
- وقال الأربلي في "الأزهار": يقال في التمثيل للموافقة- والملائمة "كف في ساعد" وللمخالفة والمغايرة: "ورك على ضلع".
- (١٢) فتنة الدهيماء: أي الفتنة السوداء المظلمة، والتصغير للذم، أي الفتنة العظماء والطامة العمياء، وقيل إن المراد بالدهيماء: الداهية، ومن أسمائها: الدهيم، زعموا أن "الدهيم" اسم ناقة كان غزا عليها سبعة إخوة، فقتلوا عن آخرهم، وحملوا عليها حتى رجعت بهم، فصارت مثلاً في كل داهية، ومثل الدهيماء: يعني الداهية التي تدهم الناس بشرها.
- (١٣) إلا لطمته لطمَةً: أي لا تترك أحداً من الناس إلا أصابته بمحنة، ومسته ببليّة، وأصل اللطم: هو الضرب على الوجه ببطن الكف، والمراد: أن أثر تلك الفتنة يعم الناس ويصل لكل أحد من ضررها.
- (١٤) فإذا قيل انقضت: أي إذا توهم الناس أن تلك الفتنة انتهت.
- (١٥) تَمَادَت: بتخفيف الدال: أي بلغت المدى، أي: الغاية في التماذي، ويتشديد الدال من التماذد أي: استطالت واستمرت واستقرت، والمعنى: أنها زادت وتمادت.
- (١٦) يصبح الرجل فيها مؤمناً، ويمسي كافراً: أي يصبح الرجل مؤمناً لتحريمه دم أخيه وماله وعرضه، ثم يمسي كافراً أي لتحليله ما ذكر ويستمر ذلك.
- (١٧) فسطاطين: أي فريقين، وقيل مدينتين، وأصل الفسطاط: الخيمة، قال الزمخشري: والفسطاط ضرب من الأبنية يتخذ في السفر دون السراشق، وجمعه: "فسطاطين".
- (١٨) فسطاط إيمان لا نفاق فيه: أي إيمان خالص صاف.
- (١٩) فسطاط نفاق لا إيمان فيه: أي فيه أعمال المنافقين من الكذب والخيانة ونقض العهد... وأمثال ذلك.
- (٢٠) فانتظروا الدجال: أي ظهوره.

١٥ - عودة الخلافة الراشدة^(١):

فبعد سقوط الخلافة - في زمن كمال أتاتورك - وغيابها عن المسلمين كثيراً إلا أنها ستعود مرة أخرى؛ تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

قال الشافعي - رحمه الله - كما في " أحكام القرآن " (٥٠/٢):

" لِيُظْهِرَنَّ اللَّهُ دِينَهُ عَلَى الْأَدْيَانِ حَتَّى لَا يُدَانَ اللَّهُ إِلَّا بِهِ، وَذَلِكَ مَتَى شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. اهـ
والقول بأن هذا الظهور المذكور في الآية قد تحقق في زمن النبي ﷺ أو الخلفاء الراشدين أو بعض خلفاء بني أمية أو بني العباس... أو غيرهم قولٌ بعيدٌ، فما تحقق إنما هو جزء منه فقط - كما هو معروف من التاريخ - وسوف يتحقق كاملاً في المستقبل إن شاء الله.

ومما يؤيد ذلك ما أخرجه الإمام مسلم عن ثوبان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

" إِنْ اللَّهُ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا ".
ومعلوم أن الإسلام لم يُعْطَ الكرة الأرضية بهذا الوصف الموجود في الحديث الشريف، وسيغطيها كما أخبر المعصوم ﷺ حين يشاء الله تعالى.

وأخرج الإمام أحمد والطبراني في " الكبير " عن تميم الداري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

" لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَبْقَى بَيْتٌ مَدَرٌ^(٢) وَلَا وَبَرٌ^(٣) إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ بَعْرٌ عَزِيزٌ، أَوْ بَذَلٌ ذَلِيلٌ، عِزًّا يُعْزِّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذَلًّا يَذُلُّ بِهِ الْكُفْرَ ".

(صححه الألباني في تحقيق المشكاة)

وهذا الحديث يؤكد الحديث السابق ويوضحه، **ويفيد قوله: " ما بلغ الليل والنهار "** أي الإسلام سينتشر، ويمكن له في جميع الكرة الأرضية؛ لأن الليل والنهار يبلغان جميعها، وهو لم يتحقق حتى الآن، وسيتحقق في المستقبل إن شاء الله.

- وفي رواية أخرى عند الإمام أحمد والحاكم عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " لا يبقى على ظهر الأرض بيتٌ مدَرٍ ولا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ بَعْرٌ عَزِيزٌ أَوْ ذَلٌّ ذَلِيلٌ، إِمَّا يُعْزِّمُ اللَّهُ ﷻ فَيَجْعَلُهُمْ مِنْ أَهْلِهَا، أَوْ يَذُلُّهُمْ فَيَذِلُّونَ لَهَا^(٤) ".

(١) " فقه أشراف الساعة " لمحمد إسماعيل المقدم - حفظه الله - (ص ٣٤).

(٢) المَدَرُ: القرى والأمصار.

(٣) الوَبَرُ: صوف الإبل والأرانب... ونحوها، يعني: أهل البادية؛ لأنهم يتخذون بيوتهم من الوَبَرِ.

(٤) وقوله ﷺ: " فيذبنون لها " فيه إشارة إلى الجزية، وإشارة أخرى إلى أن هذا إنما يكون قبل نزول المسيح ﷺ؛ لأنه لا يقبل الجزية من أحد، كما صح بذلك الحديث، وهذا كله يؤكد حتمية عودة الخلافة الإسلامية، وسيادتها على العالم كله.

ويدل على هذا ما رواه الإمام أحمد والبخاري والطبراني عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
" تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون
خليفة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم
تكون ملكاً عاضاً^(١)، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون
ملكاً جبرياً^(٢)، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خليفة
على منهاج النبوة، ثم سكت "

وها نحن نعيش الآن الملك الجبري، وننتظر عودة الخلافة الراشدة كما أخبر بذلك النبي ﷺ.
- لكن هناك سؤال يفرض نفسه هو، هل المقصود بالخلافة الراشدة التي ستعود في آخر الزمان
هي خلافة المهدي، أم ستكون خلافة أخرى تكون قبل ظهور المهدي؟

والجواب على هذا: أنها ستكون خلافة تسبق خلافة المهدي، وهذا ما يدل عليه ظاهر الأحاديث.
فقد أخرج أبو داود عن عبد الله بن حوالة الأزدي رضي الله عنه قال:

" وضع رسول الله ﷺ يده على رأسي - أو قال على هامتي - ثم قال: يا ابن حوالة، إذا
رأيت الخلافة نزلت الأرض المقدسة، فقد دنت الزلازل والبلابل والأمور العظام، والساعة
يومئذ أقرب إلى الناس، من يدي هذه من رأسك "

(قال عبد القادر الأرناؤوط في تعليقه على " جامع الأصول": والإسناد لا بأس به، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، رقم: ٢٢١٠).
فدل هذا الحديث على أن الخلافة ستكون في آخر الزمان ويكون عاصمتها القدس، وقاعدتها أرض
فلسطين؛ لأن الأرض المقدسة هي فلسطين، كما في " سورة المائدة: ٢١".

ويدل على هذه ما رواه أبو داود عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

" عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح
القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال "

وعمران بيت المقدس سيكون بالخلافة النازلة فيه، ثم يأتي بعد ذلك فتح قسطنطينية، وهذا يتم في زمن
المهدي الذي هو في زمن عيسى عليه السلام.

(١) الملك العاض أو العضوض: هو الذي يصيب الرعية فيه جور وظلم، كأنهم يُعضُّون عَضاً، أو الذي يعضهم فيه الفقر، وقد يكون الملك العاض بمعنى العضوض عليه، بأن يُورث من حاكم لآخر.
(٢) الملك الجبري أو الجبرية: هو الذي يتم جبراً ورغماً من الرعية، كتوريث غيره من الأبناء... أو غيرهم دون رضی من الشعب، ويدخل فيه أيضاً الانقلابات في عصرنا.

ومما يدل على أن الخلافة الإسلامية تكون قبل ظهور المهدي أن خليفة المسلمين عندما يموت يحدث نزاع واختلاف، وهنا يخرج المهدي كما جاء بذلك الخبر.

فقد أخرج أبو داود عن أم سلمة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ:

" يكون اختلاف عند موت خليفة، فيخرج رجل من أهل المدينة هارباً إلى مكة، فيأتيه ناس من أهل مكة، فيخرجون وهو كاره، فيبايعونه بين الركن والمقام...". الحديث

(حسنه عبد القادر الأرناؤوط في تعليقه على جامع الأصول).

فلا شك أن المبايع بين الركن والمقام هو المهدي - كما سيأتي - وقد نص الحديث على وجود اختلاف بعد موت خليفة، فدلّ على وجود خلافة قبله، يكون في نهايتها خصام ونزاع، ثم يأتي هو في أعقابها، فيملأ الدنيا عدلاً، كما فعل عمر بن عبد العزيز بعد أن صَحَّت بيعته، فسُمِّي خامس الراشدين.

قال الشيخ الألباني -رحمه الله- في معرض رده على مَنْ زعم أن دولة الخلافة الإسلامية لن تعود قبل ظهور المهدي: "واعلم يا أخي المسلم أن كثيراً من المسلمين اليوم قد انحرفوا عن الصواب في هذا الموضوع، فمنهم مَنْ استقر في نفسه أن دولة الإسلام لن تقوم إلا بخروج المهدي، وهذه خرافة وضلالة ألقاها الشيطان في قلوب كثير من العامة، وبخاصة الصوفية منهم، وليس في شيء من أحاديث المهدي ما يُشعر بذلك مطلقاً، بل هي كلها لا تخرج عن أن النبي ﷺ بشر المسلمين برجل من أهل بيته، ووصفه بصفات، أبرزها: أنه يحكم بالإسلام، وينشر العدل بين الأنعام، فهو في الحقيقة من المُجَدِّدين الذين يبعثهم الله في رأس كل مائة سنة، كما صح عنه ﷺ، فكما أن ذلك لا يستلزم ترك السعي وراء طلب العلم، والعمل به لتجديد الدين، فكذلك خروج المهدي لا يستلزم التواكل عليه، وترك الاستعداد والعمل لإقامة حكم الله في الأرض، بل العكس هو الصواب؛ فإن المهدي لن يكون أعظم سعيًا من نبينا محمد ﷺ الذي ظل ثلاثة وعشرين عاماً، وهو يعمل لتوطيد دعائم الإسلام، وإقامة دولته، فماذا عسى أن يفعل المهدي لو خرج اليوم، فوجد المسلمين شيعاً وأحزاباً، وعلماءهم - إلا القليل منهم - اتخذهم الناس رعوساً، لما استطاع أن يقيم دولة الإسلام إلا بعد أن يوحد كلمتهم، ويجمعهم في صف واحد، وتحت راية واحدة، وهذا - بلا شك - يحتاج إلى زمن مديد. الله أعلم به، فالشرع والعقل معاً يقضيان أن يقوم بهذا الواجب المخلصون من المسلمين، حتى إذا خرج المهدي، لم يكن بحاجة إلا أن يقودهم إلى النصر، وإن لم يخرج، فقد قاموا بواجبهم" والله يقول:

﴿وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ١٠٥]. (سلسلة الأحاديث الصحيحة: ٤٢/٤، ٤٣).

١٦- في آخر الزمان يلحق الناس بالشام:

الشام اسم يطلق اليوم على بلاد سوريا وما حولها (لبنان والأردن وفلسطين).
والشام هي أرض المنشر والمحشر، وهي مهبط كثير من الرسالات، والشام وأهلها لهم قدر ومزية.
فقد أخرج الترمذي وأبو داود من حديث معاوية بن قرّة عن أبيه -رضي الله عنهما- عن رسول الله ﷺ قال: "إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم، لا تزال طائفة من أمتي منصورين، لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة".

لذا يوصي النبي ﷺ بسكنى الشام، لأنه قبل قيام الساعة، ستكون الشام معقل المسلمين وسكناهم.
أخرج الإمام أحمد بسند حسن عن سلمة بن نفيل رضي الله عنه أنه أتى النبي ﷺ فقال: "إني سئمت الخيل، وألقيت السلاح، ووضعت الحرب أوزارها، قلت: لا قتال، فقال له النبي ﷺ: الآن جاء القتال، لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الناس، يرفع الله قلوب أقوام فيقاتلونهم ويرزقهم الله منهم، حتى يأتي أمر الله ﷻ وهم على ذلك، ألا إن عقر دار المؤمنين الشام، والخيّل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة".

أخرج الإمام أحمد وأبو داود عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إن فسطاط المسلمين^(١) يوم الملحمة بالغوطة^(٢)، إلى جانب مدينة يقال لها: دمشق^(٣) من خير مدائن الشام". (صححه الألباني في صحيح أبي داود)

والملاحمة المذكورة في الحديث تكون قبل المهدي، أو في زمنه أو في زمن آخر، وقد حث النبي ﷺ على سكنى الشام، وذلك لكونها أرض المحشر، وأنها فسطاط المؤمنين، فقد استشار أحد الأصحاب رسول الله ﷺ إلى أي البلدان يهاجر ويسكن، فأشار عليه النبي ﷺ بالشام.

فقد أخرج الترمذي عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: "قلت: يا رسول الله، أين تأمرني؟ قال: ها هنا، ونحا بيده نحو الشام".

(١) والفسطاط في الأصل الخيمة، ثم استعمل في الحصن والملجأ، والمقصود هنا موقع المسلمين، ومكان اجتماعهم يوم الملحمة، أي: المعركة الكبرى بين المسلمين والنصارى، والمقصود بالملحمة: المقتلة العظمى.

(٢) بالغوطة: وهي اليوم تسمى غوطة دمشق، ودمشق مدينة معروفة، وهي عاصمة سوريا اليوم.

(٣) دمشق: بكسر الدال المهملة، وفتح الميم، وسميت بذلك لأن دمشق بن عمرو بن كنعان هو الذي بناها؛ فسميت باسمه، وكان دمشق آمن بإبراهيم ﷺ وسار معه (أفاده صاحب "عون المعبود").

أخرج أبو داود بسند صحيح عن عبد الله بن حوالة قال: قال رسول الله ﷺ:

" سيعير الأمر إلى أن تكونوا جنوداً مجنّدة، جُنْد بالشام، وجُنْد باليمن، وجُنْد بالعراق،

قال ابن حوالة: خر لي يا رسول الله إن أدركتُ ذلك، فقال: عليك بالشام، فإنها خيرة الله من أرضه، يجتبي إليها خيرته من عباده، فأما إن أبيتم فعليكم بيمنكم^(١) واسقوا من غُدركم؛ فإن الله توكل لي بالشام وأهله ". (صحيح الجامع: ٣٦٥٩).

وقبل قيام الساعة، سيهاجر أغلبية المؤمنين إليها، ولا يبقى أحد منهم إلا لحق بالشام. فقد أخرج ابن أبي شيبة عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: " يأتي زمان لا يبقى فيه مؤمن إلا لحق بالشام ". (صحيح موقوف، وهو لا يقال من قبل الرأي فله حكم الرفع).

وهذا الحديث محمول على أزمّة مخصوصة، وليس على إطلاقه، فإذا ظهرت فتن بالشام يخشى المسلم منها على دينه فحينئذ يشرع له بالفرار منها.

ولا شك أن اللجوء إلى مكة في زمن الدّجال أولى من اللجوء إلى الشام، وقد قال ﷺ:

"... وإنه - أي: الإسلام - يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية إلى جحرها"، والله تعالى أعلم.

١٧- عمران بيت المقدس وخراب المدينة:

فقد أخرج أبو داود عن معاذ بن جبل ؓ أن رسول الله ﷺ قال: " عمران بيت المقدس^(٢): خراب يثرب، وخراب يثرب: خروج الملحمة، وخروج الملحمة: فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية: خروج الدّجال ". ثم ضرب معاذ بن جبل بيده على فخذ الذي حدّثه - أو منكبه - ثم قال: إن هذا لحق، كما أنك قاعد ها هنا ".

ويدل على هذا الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد وأبو داود من حديث عبد الله بن حوالة الأزدي: " قال لي رسول الله ﷺ: يا ابن حوالة إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة؛ فقد دنت الزلازل والبلابل والأمور العظام، والساعة يومئذ أقرب من الناس من يديّ هذه من رأسك ".

(١) يمينكم: أي عليكم بدولة اليمن.

(٢) والمقصود بعمران بيت المقدس هو كثرة مبانيها والتوسّع فيها، وإقبال الناس على سكناها، ويحتمل عمارة بيت المقدس المقصد منه هو نزول الخلافة فيه آخر الزمان، وانتقال الناس إلى بيت المقدس وعمارته، ولعل هذا هو الاحتمال الأرجح.

• أما بالنسبة لخراب المدينة: فقد دلّ عليه أحاديث كثيرة منها: -

ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: " تتركُونَ المدينة على خير ما كانت، لا يغشاها إلا العوافي - يريد عوافي السباع والطيور - وآخر من يُحشر راعيان من مُزينة، يُريدان المدينة، ينعانان ^(١) بغنمهما، فيجدانها وحشاً ^(٢) - وفي رواية: وحوشاً - حتى إذا بلغا ثنيةً الوداع؛ خرّا على وجوههما ".

وأخرج الإمام مالك في " موطنه " عن النبي ﷺ قال: " لتتركن المدينة على أحسن ما كانت، حتى يدخل الكلب أو الذئب فيغذّي ^(٣) على بعض سواري المسجد - أو على المنبر - فقالوا: يا رسول الله، فلمن تكون الثمار ذلك الزمان؟ فقال: للعوافي، الطيور والسباع ". وفي رواية للشيخين: " ليركنّها أهلها على خير ما كانت عليه، مذلة للعوافي ". قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: روى عمر بن شيبه بإسناد صحيح عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: " دخل رسول الله ﷺ المسجد ثم نظر إلينا، فقال: أما والله ليدعنّها أهلها مذلة أربعين عاماً للعوافي، أتدرون ما العوافي؟ الطيور والسباع ". ثم قال ابن حجر - رحمه الله -: وهذا لم يقع قطعاً.

تنبيه:

قيل: إن المقصود بخراب يثرب هو رغبة الناس عن سكنائها، وتوقف التوسع في مبانيها مع أن ثمارها تكون حسنة، وعيشها طيب، ولكن ربما لكثرة الفتن والشدة التي تقع بالناس ممّا يجعل الناس يفارقونها، وربما يُستدل لهذا القول بالأحاديث السابقة.

وقيل: إن خراب المدينة سيكون عند خروج النار في آخر الزمان، والتي تسوق الناس إلى محشرهم؛ فيتركون المدينة على خير ما كانت عليه.

(١) ينعانان: النعيق: هو التصويت، أي: يزرانها ويسوقانها طلباً للكلأ،

(٢) فيجدانها وحشاً أو وحوشاً: بفتح الواو وضمها، وهما روايتان، فإذا أعدنا الضمير على الغنم ضمنا الواو، أي: فيجدان الغنم تتوحش، فتتفرق من صياحهما، وإذا أعدناه على المدينة فتحنا الواو، أي: يجدان المدينة خالية ليس فيها أحد.

(٣) يَغْذِي على بعض سواري المسجد: أي يبول على سواري المسجد بولاً متقطعاً. (انظر فيض القدير: ٤١/١ - ٤٣)

بينما ذهب البعض إلى: أن الناس لا يتركون المدينة في آخر الزمان كما ذهب الفريق الأول؛ لأن المدينة في آخر الزمان ستكون ملاذ أهل الإيمان كما أخبر بذلك النبي ﷺ.

فقد أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: " إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها ".

وأخرج المرجاني في " أخبار المدينة " عن جابر ؓ أن رسول الله ﷺ قال:

" ليعودن هذا الأمر إلى المدينة كما بدأ منها، حتى لا يكون إيمان إلا بها".

وهذه الأحاديث تدل على أن المدينة ستظل عامرة قبل الساعة.

يقول ابن كثير -رحمه الله-:

" والمقصود أن المدينة تكون باقية عامرة أيام الدَّجَال، ثم تكون كذلك في زمان عيسى ابن مريم عليه السلام حتى تكون وفاته بها، ودفنه بها، ثم تخرب بعد ذلك.

ثم ساق ابن كثير الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن جابر ؓ قال: " أخبرني عمر بن

الخطاب ؓ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ليسيرن الراكب بجنابات المدينة، ثم ليقولن:

لقد كان في هذا حاضر من المسلمين ". (صحيح إسناده أحمد شاكر -رحمه الله-).

ثم قال أصحاب هذا القول: " إن الفتن عندما تعم الدنيا كلها عند خروج المهدي، ويبقى أهل المدينة

معه، فيأرز الإيمان إلى المدينة؛ لأن أهلها هم المؤمنون الكاملون التابعون للخليفة الحق، ثم يخرجون

معه إلى الجهاد، وعند مجيء الدَّجَال إليها ومكوته خارجها، ترجف بأهلها فتتفي خبثها، وترميه إلى

الدَّجَال، فلا يبقى فيها إلا المؤمنون المخلصون، ثم يهاجر كثير منهم إلى بيت المقدس ببلاد الشام،

حيث إمامهم المهدي، ثم نزول عيسى عليه السلام، ومن بقي من المؤمنين في المدينة، فإنها تقبض روحه

الريح اللطيفة الباردة، ويموتهم تخرب المدينة، ولا يكون فيها أحدٌ، بخلاف غيرها من البلدان، فتبقى

عامرة بشرارها، وعليهم تقوم الساعة. (انظر " التذكرة": ص ٦٨٩).

١٨- في آخر الزمان لا يقسم ميراث ولا يفرح الناس فيه بغنيمة:

فقد أخبر الصادق المصدوق عليه السلام كما عند الإمام مسلم وأحمد: "إن الساعة لا تقوم حتى لا يُقسم ميراث، ولا يُفرح بغنيمة".

وأخرج الإمام مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: "هاجت ريح حمراء بالكوفة، فجاء رجل ليس له هَجِيرٌ^(١): ألا يا عبد الله بن مسعود جاءت الساعة، قال: فقعد - وكان متكئاً - فقال: إن الساعة لا تقوم حتى لا يُقسم ميراث، ولا يُفرح بغنيمة، ثم قال بيده هكذا - ونحّاهما نحو الشام - فقال: عدّو يجمعون لأهل الإسلام، ويجمع لهم أهل الإسلام، قلت: الروم تعني؟ قال: نعم... ". الحديث.

١٩- السجدة تكون خير من الدنيا وما فيها:

أخرج ابن حبان بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها".

٢٠- خروج رجل يقال له الجهجاه:

يخرج في آخر الزمان رجال يكون لهم صولة وجولة بين الناس، ذكر النبي ﷺ بعضهم باسمه أو بوصفه من هؤلاء: رجل يقال له الجهجاه.

أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "لا تذهب الأيام والليالي حتى يملك رجل يقال له: الجهجاه".

وجاء في بعض الروايات كما في "سنن الترمذي" أن هذا الجهجاه من الموالي.

فقد أخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال:

"لا تذهب الليالي والأيام حتى يملك رجلٌ من الموالي، يقال له: الجهجاه"، وفي نسخة: الجَهْجَلُ

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- كما في "الفتح": وأصل الجهجاه: الصياح.

قال المباركفوري -رحمه الله- في "تحفة الأحوذى" (٤٨٣/٦) عند شرح هذا الحديث:

"أي لا ينقطع الزمان ولا تأتي القيامة، حتى يملك الرجل من الموالي، أي: على سبيل التغلب لا بشورى

أهل الحل والعقد، فهذا الحديث لا يخالف الأحاديث القاضية بأن الخلافة في قريش، (والموالي) جمع

(مولى)، أي: المماليك، والمعنى: حتى يصير حاكماً على الناس". اهـ.

(١) أي: ليس له كلام، ولا نداء ولا دأب ولا شأن إلا ذلك.

٢١- هدم الكعبة:

فمن علامات يوم القيامة: هدم الكعبة المشرفة وخرابها على يد رجل من الحبشة، فيجَردها من كسوتها، ويسلبها حليتها، وينقضها حجراً حجراً، ولا تعمر بعد ذلك أبداً.

وهذا ما أخبر به النبي ﷺ.

فقد أخرج البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال: "يُخَرَّبُ الكعبة ذو السُؤْيَقَتَيْنِ^(١) من الحَبَشَةِ".

وأخرج أبو داود بسند صحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: "اتركوا الحبشة ما تركوكم، فإنه لا يستخرج كنز الكعبة^(٢) إلا ذو السُؤْيَقَتَيْنِ من الحبشة".

وجاء في "مسند الإمام أحمد" عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "يُخَرَّبُ الكعبة ذو السُؤْيَقَتَيْنِ من الحَبَشَةِ، ويسلبها حليتها، ويُجَردها من كسوتها، ولكأني أنظر إليه: أصيلع^(٣)، أفيدع^(٤)، يضرب عليها بمسحاته^(٥) ومعوله^(٦)".
(قال ابن كثير: وهذا إسناد جيد قوي).

وفي رواية أخرى عند البخاري عن ابن عباس -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: "كأني أنظر إليه: أسود، أفحج^(٧)، ينقضها حجراً حجراً". (يعني: الكعبة)

وفي رواية عند مسلم: "كأني به أسود أفحج يقلعها حجراً حجراً".

(١) "السُؤْيَقَتَيْنِ": السويقة: تصغير الساق، وهي مؤنثة، فلذلك ظهرت التاء في تصغيرها، وإنما صغر الساق؛ لأن الغالب على سوق الحبشة الدقة والحموشة. "النهاية في غريب الحديث والأثر" (٤٣٣/٢).

(٢) كنز الكعبة: قال ابن الأثير في "جامع الأصول": أراد بالكنز: مال الكعبة الذي كان معداً فيها من النذور التي كانت تحمل إليها قديماً وغيرها.

(٣) (أصيلع): تصغير أصلع، وهو الذي انحسر الشعر عن رأسه، أي: لا شعر له ("النهاية" لابن الأثير: ٤٧/٣).

(٤) (أفيدع): تصغير أفدع، والفتح بالتحريك زيغ بين القدم وبين عظم الساق، وكذلك يكون في اليد، وهو أن تزول المفاصل عن أماكنها. (انظر "النهاية" لابن الأثير: ٤٢٠/٣).

(٥) بمسحاته: أي مجرفته، والمجرفة آلة من حديد تستخدم في الحرث.

(٦) المعول: آلة من حديد ينقر بها الصخر.

(٧) (أفحج): في "القاموس": "فحج في مشبته؛ أي: تدانى صدور قدميه، وتباعد عقباه". وقال ابن الأثير: "الفحج: تباعد ما بين الفخذين". انظر "ترتيب القاموس" (٤٥١/٣) و"النهاية" (٤٥١/٣). وقال الحافظ في الفتح: والفحج: تباعد ما بين الساقين.

شبهة... والرد عليها:

فإن قيل: إن هذه الأحاديث تخالف قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا﴾ [العنكبوت: ٦٧].

والله تعالى قد حبس عن مكة الفيل، ولم يُمكن أصحابه من تخريب الكعبة، ولم تكن إذ ذاك قبلة، فكيف يسلط عليها الحبشة بعد أن صارت قبلة للمسلمين؟

الجواب على هذا من وجهين:

أولاً: "إن البيت الحرام يبقى حرماً آمناً إلى قرب قيام الساعة، وليس إلى قيام الساعة وخراب الدنيا، فليس في الآية استمرار بقاء الأمن إلى قيام الساعة؛ لأن الآية تصف حال البيت الحرام في ذلك الزمان أنه آمن.

وقد حدث القتال في مكة مرات عديدة، وأعظم ذلك ما وقع من القرامطة^(١) في القرن الرابع الهجري، حيث قتلوا المسلمين عند طوافهم، وقلعوا الحجر الأسود وحملوه إلى بلادهم.

ثانياً: أن البيت الحرام آمن ما لم يستحلَّ أهله: فإذا استحلَّ أهله جاء خراب البيت، والذي لا يُعمر بعده أبداً، وهذا ما أشار إليه النبي ﷺ، ففي الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد عن سعيد ابن سمعان؛ قال: سمعت أبا هريرة ؓ يخبر أبا قتادة أن رسول الله ﷺ قال: "يُبَايَعُ لرجل ما بين الركن والمقام، ولن يستحلَّ البيت إلا أهله، فإذا استحلَّوه؛ فلا يُسأل عن هلكة العرب، ثم تأتي الحبشة، فيُخربونه خراباً لا يُعمر بعده أبداً، وهم الذين يستخرجون كنزه".

(السلسلة الصحيحة: ٥٧٩).

ففي زمن أصحاب الفيل مع أن أهل مكة كانوا كفاراً؛ إلا أنهم كانوا مُعظِّمين للبيت غير مُستحلِّين له، فمنعه الله ﷻ من "أبرهة" وقومه.

وأما ذو السُؤيقَتَيْنِ الحبشي فلن يهدمه إلا بعد استحلال أهله له وجراتهم عليه، وعدم عنايتهم به، فإذا أهملوا العناية بالبيت والاهتمام به ترك الله نصرتهم.

(انظر شرح النووي على مسلم: ٣٥/١٨) (وانظر فتح الباري: ٤٦١/٣)

(١) (القرامطة): طائفة من الباطنية تنتسب لرجل اسمه "حمدان قرمط"، من أهل الكوفة، ولهذه الطائفة الخبيثة في تاريخها الطويل المخزي أعمال شنيعة، ومن أعظمها ما وقع منهم سنة (٣١٧هـ)، حيث هاجموا الحُجَّاج يوم التروية، واستباحوا أموالهم ودماءهم، فقتلوا في رحاب مكة وشعابها وفي المسجد الحرام وفي جوف الكعبة من الحُجَّاج خلقاً كثيراً، وهدموا قبة زمزم، وقلعوا باب الكعبة، ونزعوا كسوتها، وقلعوا الحجر الأسود ونقلوه إلى بلادهم، ومكث عندهم اثنتين وعشرين سنة... (انظر البداية والنهاية: ١٦٠/١١).

٢٢- ترك الحج لبيت الله الحرام:

أخبر النبي ﷺ أن من علامات الساعة أن سيأتي زمان على الكعبة يتعطل فيها الحج والعمرة. فقد أخرج ابن حبان والحاكم وأبو يعلى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: "لا تقوم الساعة حتى لا يُحجَّ البيت".

وقفة:

هل الحديث السابق يتعارض مع الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن الحبيب النبي ﷺ قال: "لِيُحَجَّ هذا البيتُ وَلِيُعْتَمَرَ بعد خروج يأجوج ومأجوج". والجواب: أنه لا تعارض بينهما حيث يمكن الجمع، وقد جمع بينهما البخاري - رحمه الله - فقال: "فإنه لا يلزم بعد خروج يأجوج ومأجوج أن يمتنع الحج في وقت ما عند قرب ظهور الساعة". اهـ. وقيل والله أعلم: إن المراد بقوله: "لِيُحَجَّ البيتُ" أي: يحج مكان البيت، لأنه كما مر بنا أن الحبشة إذا خربوه لم يعمر بعد.

وقيل: إن المعنى أن يمنع أقوام من الحج إلى البيت الحرام.

وقيل: إن ترك الحج لبيت الله الحرام سيقع كما أخبر النبي ﷺ، ولكنها علامة ستتأخر إلى آخر الزمان وبعد خروج يأجوج ومأجوج بزمان، وتكون قرب قيام الساعة حيث لا يبقى في الأرض أحدٌ يقول: الله الله.

٢٣- رفع القرآن ومحو الإسلام:

فمن علامات قرب قيام الساعة أن يندرس الإسلام وتُمحى تعاليمه، وتنتقض عرى الإسلام عروة عروة كما جاء عند الإمام أحمد في "مسنده" عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: "لتنقض عرى الإسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عروة تشبَّت الناس بالتي تليها، وأولهن نقضاً: الحكم، وآخرهن: الصلاة".

ويكون ذلك بسبب الفتن، والمعاصي، وقلة العلم، وانتشار الجهل؛ فلا يبقى في الناس صيام ولا صلاة، ويُرفع القرآن من المصاحف والصدور، وهذا ما أخبر عنه الرسول ﷺ.

فقد أخرج ابن ماجه والحاكم عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "يُدرَس الإسلام^(١) كما يدرُس وَشْيُ الثوب^(٢)، حتى لا يُدرى ما صِيَامٌ، ولا صَلَاةٌ، ولا نُسُكٌ، ولا صدقةٌ؟ وَيُسْرَى^(٣) على كتاب الله في ليلة، فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس: الشيخ الكبير، والعجوز يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة، يقولون: (لا إله إلا الله)، فنحن نقولها، فقال له صلة: ما تُغنى عنهم (لا إله إلا الله) وهم لا يدرون ما صلاة، ولا صيام، ولا نُسُكٌ، ولا صدقةٌ؟ فأعرض عنه حذيفة، ثم ردَّدها عليه ثلاثاً، كلُّ ذلك يُعرض عنه حذيفة، ثم أقبل عليه في الثالثة، فقال: يا صلة! تُنجيهم من النار ثلاثاً".

(صحيح الجامع: ٨٠٧٧).

أخرج الطبراني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "لَيُنزَعَنَّ الْقُرْآنُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ؛ يُسْرَى عَلَيْهِ لَيْلاً، فَيَذْهَبُ مِنْ أَجْوَافِ الرِّجَالِ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ شَيْءٌ".

(قال الحافظ في "الفتح" (١٦/١٣): سنده صحيح ولكنه موقوف).

قال ابن تيمية -رحمه الله-: يسرى به آخر الزمان من المصاحف والصدور، فلا يبقى في الصدور منه كلمة، ولا في المصاحف منه حرف. (مجموع الفتاوى: ١٩٨/٣).

ويظل هذا التداني والانحطاط إلى درجة ألا يذكر اسم الله تعالى في الأرض كما جاء في الحديث الذي أخرجه مسلم عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "لا تقوم الساعة حتى لا يُقال في الأرض: الله، الله".

(١) يُدرَس الإسلام: أي يزول ويُحى فلا يبقى منه شيء، والمعنى: تزول من بين الناس شعائره الظاهرة (وتنطق أيضاً: "يُدرَس" بفتح الياء وضمها).

(٢) وَشْيُ الثوب: أي النقش والزخارف التي تُرسم على الثوب، فتزول مع كثرة الاستعمال والغسل.

(٣) يُسْرَى على القرآن: أي يرفع القرآن من الصدور والمصاحف، لما يهمله الناس ولا يتلونه، ولا يتعبدون به.

٢٤- غربة الإسلام:

ونعيش الآن بؤادر غربة الإسلام في هذا الزمان ومن قبله بزمان، ولكن هذه الغربة لم تستحكم بعد بحيث لا يعرف الناس ما صلاة، ولا صيام، ولا زكاة، وألا يذكر الله في الأرض كما مر بنا في العلامات السابقة.

فقد أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء" (١).

ونقل عبد الله بن الإمام أحمد عن أبيه عن عبد الله بن مسعود ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: **إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء. قيل: ومن الغرباء؟ قال النّزاع من القبائل".** (وأخرجه الدارمي وأبو يعلى).

نقل النووي -رحمه الله- في "شرح مسلم" (٣٩٥/١) عن الإمام مالك أنه قال في شرح هذا الحديث: **"بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ".** أي: في المدينة، وأن الإسلام بدأ غريباً وسيعود إليها غريباً.

لكن ربما يُرد على الإمام مالك بالحديث الذي جاء عند الإمام مسلم عن ابن عمر -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: **"إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحيّة في جحرها".**

وفي رواية أخرى عن مسلم من حديث أبي هريرة ؓ مرفوعاً: **"إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحيّة إلى جحرها".**

فكلام الإمام مالك: إن الغربة التي ستحدث في آخر الزمان ستكون بالمدينة نهايةً كما كانت بدايةً، ولكن الأحاديث السابقة ترد هذا الكلام، وقد أفاد القاضي: أن الإيمان كان في بداية الأمر قوي والإسلام منتشر؛ لوجود النبي ﷺ وأصحابه الكرام، فكان الناس يقصدون المدينة، ولا يقصدها إلا من خلص إيمانه، وصح إسلامه، وهكذا سيكون في آخر الزمان فلا يأتيها إلا المؤمن النقي النقي.

وقد علّق القاضي على قول النبي ﷺ: "بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً"، أن ظاهر الحديث العموم، أي أن هذا ليس خاص بالمدينة كما ذهب الإمام مالك، ولكن الإسلام بدأ في أحاد من الناس وقلة، ثم انتشروا وظهروا، ثم سيلحقه النقص والإخلال، حتى لا يبقى إلا في أحاد وقلة أيضاً كما بدأ.

(١) اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى: { طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ } [الرعد: ٢٩]. قيل: من الطيب. وقال ابن عباس -رضي الله عنهما-: معناه فرح وقرّة عين، وقال بكرمة: نعم ما لهم، وقال الضحاك: غبطة لهم، وقال قتادة: حُسْنَى لهم، أو أصابوا خيراً، وقيل: خير لهم وكرامة، وقيل: دوام الخير، وقيل: الجنة، وقيل: شجرة في الجنة، وكل هذه الأقوال محتملة.

(٢) يأرز: من أرزت الحية، أي: لاذت بجحرها ورجعت إليه، وقال الأصمعي: يأرز: أي ينضم إليها ويجتمع بعضه إلى بعض فيها.

٢٥- ظهور المهدي.

في آخر الزمان حيث يكثر الفساد، وينتشر الظلم، ويأكل القوي الضعيف، وينتشر الزنا، والربا، وتستحل الخمر والمعازف، ويكثر القتل، وتكون إمارة السفهاء، وتخوين الأمناء، ويتكلم السفهاء في أمر العامة، وينتشر الشرك ويعم؛ حتى يتطلع الموحدون ويترقب المؤمنون فجراً جديداً، يزيل عنهم الظلام الذي ملأ الأرض، ولا يكون هذا إلا بخروج المهدي، الذي يأذن الله في خروجه؛ فيملأ الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً، ويجدد للأمة دينها، وتتعم الأمة في عهده بالرخاء والأمن والأمان والسعادة.

فقد أخرج الإمام أحمد وأبو يعلى والحاكم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلماً وعدواناً. قال: ثم يخرج رجل من عترتي ^(١) - أو: من أهل بيتي - يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً ."

وأخرج أبو داود عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي، يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً ."

(صححه أحمد شاكر، وحسنه المعلق على جامع الأصول: ١٠/٣٣٠).

- وفي رواية: " لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لبعث الله ﷻ رجلاً منا يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً ."

قال صاحب " عون المعبود " - رحمه الله - (١١/٣٦١):

" واعلم أن المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على مر الأعصار: أنه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت، يؤيد الدين، ويظهر العدل، ويتبعه المسلمون، ويستولي على الممالك الإسلامية ويسمى بـ " المهدي " ، ويكون خروج الدجال ومن بعده من أشراط الساعة الثابتة في " الصحيح " على أثره، وأن عيسى عليه السلام ينزل من بعده فيقتل الدجال، أو ينزل معه فيساعده على قتله، ويأتى بالمهدي في صلاته.

وخرج أحاديث المهدي جماعة من الأئمة، منهم أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، والبخاري، والحاكم، والطبراني، وأبو يعلى الموصلي، وأسندوها إلى جماعة من الصحابة مثل: علي، وابن عباس، وابن عمر، وطلحة، وعبد الله بن مسعود، وأبي هريرة، وأنس، وأبي سعيد الخدري، وأم حبيبة، وأم سلمة، وثوبان، وقرّة بن إياس، وعليّ الملائي، وعبد الله بن الحارث رضي الله عنه.

(١) العترة: نسل الإنسان، أو ولد الرجل وعقبه من صلبه.

وقال العلامة محمد السفاريني -رحمه الله-:

" وقد كثرت بخروجه - أي المهدي - الروايات، حتى بلغت حد التواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء السنة، حتى عُدَّ من معتقداتهم ". (لوامع الأنوار البهية: ٨٤/٢).

وقال الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز -رحمه الله-:

" أما إنكار المهدي المنتظر بالكلية، كما زعم ذلك بعض المتأخرين، فهو قول باطل؛ لأن أحاديث خروجه في آخر الزمان، وأنه يملأ الأرض عدلاً وقسطاً، كما ملئت جوراً، قد تواترت تواتراً معنوياً، وكثرت جداً، واستفاضت كما صرح بذلك جماعة من العلماء، بينهم أبو الحسن الآبري السجستاني من علماء القرن الرابع، والعلامة السفاريني، والعلامة الشوكاني، وغيرهم، وهو كالإجماع من أهل العلم، ولكن لا يجوز الجزم بأن فلاناً هو المهدي، إلا بعد توافر العلامات التي بيَّنها النبي ﷺ في الأحاديث الثابتة، وأعظمها وأوضحها كونه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً ". اهـ
(جريدة عكاظ: ١٨ من محرم ١٤٠٠هـ).

قال الشيخ ابن باز -رحمه الله- أيضاً: " أمر المهدي معلوم والأحاديث فيه مستفيضة بل متواترة متعاضدة، وقد حكى غير واحد من أهل العلم تواترها، وتواترها تواتر معنوي؛ لكثرة طرقها واختلاف مخرجها وصحابتها ورواتها وألفاظها، فهي بحق تدل على أن هذا الشخص الموعود به أمره ثابت وخروجه حق، وهو محمد بن عبد الله العلوي الحسني من ذرية الحسن بن علي -رضي الله عنهما- وهذا الإمام من رحمة الله ﷻ بالامة في آخر الزمان يخرج فيقيم العدل والحق، ويمنع الظلم والجور، وينشر الله به لواء الخير على الأمة عدلاً وهدايةً وتوفيقاً وإرشاداً للناس ". (نقلاً من كتاب الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي لفضيلة الشيخ عبد المحسن البدر - حفظه الله -: ص ١٥٧-١٥٩)

تنبيهات:

١ - احتج بعض المنكرين لأحاديث المهدي بالحديث الذي رواه ابن ماجه والحاكم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: " لا يزداد الأمر إلا شدة، ولا الدنيا إلا إداراً، ولا الناس إلا شحاً، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس، ولا المهدي إلا عيسى ابن مريم ".
ويُجاب عليهم: بأن هذا الحديث ضعيف؛ لأن مداره على محمد بن خالد الجندي.

قال الذهبي: " قال الأزدي: منكر الحديث، وقال أبو عبد الله الحاكم: " مجهول".
وقال الذهبي أيضاً: والحديث " لا مهدي إلا عيسى ابن مريم عليه السلام "، وهو خبر منكر، أخرجه ابن ماجه ". (ميزان الاعتدال: ٥٣٥/٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: " هذا الحديث ضعيف ". (منهاج السنة النبوية: ٢١١/٤).

وضَعَفَ هذا الحديث أيضاً البيهقي والحاكم، وفيه أبان بن صالح وهو مترك الحديث.
وضَعَفَهُ الألباني في " ضعيف الجامع " (٦٣٤٨).

٢ - ما روي من رواية محمد بن المنكر عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: " مَنْ كَذَبَ بالمهدي فقد كفر " فهو حديث موضوع، والمتهم فيه أبو بكر الإسكاف.

٣ - ذكر صاحب " عون المعبود " -رحمه الله- (٣٦١/١١) عن الإمام المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون المغربي: أنه قد بالغ في " تاريخه " في تضعيف أحاديث المهدي كلها.
لكن الشيخ الألباني -رحمه الله- تعقب هذا القول في كتابه " السلسلة الصحيحة " (٤٠/٤) حديث رقم (١٥٢٩) فقال: " لم يتمكن ابن خلدون من تضعيف هذا الحديث مع شططه في تضعيف أكثر أحاديث المهدي، بل أقرَّ الحاكم على تصحيحه لهذا الطريق، فمن نسبته إليه أنه ضَعَفَ كل أحاديث المهدي فقد كذب عليه سهواً أو عمداً. اهـ.

ودليل ذلك ما أخرجه الحاكم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن الحبيب النبي ﷺ قال: " يخرج في أمتي المهدي، يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطى المال صحاحاً، وتكثر الماشية، وتعظم الأمة، يعيش سبعاً أو ثمانياً ". يعنى حجباً.

(صححه الحاكم والذهبي وابن خلدون).

تعريف بالمهدي

• اسمه ونسبه:

اسمه كاسم نبيّاً ﷺ محمد بن عبد الله، أو أحمد بن عبد الله، وهو من ذريته من نسل فاطمة البتول - رضي الله عنها - بنت الرسول ﷺ ومن صُلب الحسن بن علي - رضي الله عنهما - فهو من بيت النبوة. قال ابن كثير - رحمه الله - **كما في " النهاية في الفتن والملاحم " (٢٩/١) عن المهدي:** " وهو محمد بن عبد الله العلوي الفاطمي الحسني ﷺ ".

وأخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي عن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: **" لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد؛ لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً مني - أو من أهل بيتي -، يُواطِيء اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي "**.
ففي الحديث يكون اسم المهدي: **" محمد بن عبد الله "**، وفيه رد على الشيعة الذين يقولون: أنه محمد ابن الحسن العسكري.

وعند الإمام أحمد بسند صحيح من حديث زر بن عبد الله ﷺ أن النبي ﷺ قال: **" لا تقوم الساعة حتى يلي رجل من أهل بيتي يُواطِيء اسمه اسمي "**.
وفي رواية أخرى عند الإمام أحمد وأبي داود: **" لا تذهب - أو لا تنقضي - الدنيا؛ حتى يملك العرب رجلٌ من أهل بيتي، ويُواطِيء اسمه اسمي "**.

وقوله: **" حتى يملك العرب "** أي: يكون ملكاً على المسلمين عموماً، سواء كانوا عرباً أو عجماء،

لكنه ذكر العرب هنا لأسباب منها: -

١- أن المهدي سيبدأ بهم، فهو يظهر في مكة والمدينة، فيتبعه العرب فيها، ثم سائر المسلمين.

٢- وقيل: إن كل مسلم يعتبر عربياً من جهة قراءته للقرآن، ومعرفته للغة العربية.

(انظر مرقاة المفاتيح للقاري: ١٧٩/٥).

وأخرج أبو داود وابن ماجه والحاكم عن أم سلمة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: **" المهدي من عترتي من ولد فاطمة "**. (صحيح الجامع: ٦٧٣٤).

والعتره: هي نسل الإنسان، أو ولد الرجل وعقبه من صلبه، ومعنى عترتي: أي من آل بيتي وذريتي.

وأخرج الإمام أحمد وابن ماجه عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ:
"المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة".

(ضعفه شعيب الأرنؤوط في تحقيقه للمسند، وصححه الشيخ الألباني، وأحمد شاکر).

وأخرج الإمام مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال:

"دخلت مع أبي علي النبي ﷺ، فسمعتة يقول: إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة، ثم قال جابر: ثم تكلم بكلام خفي عليّ، فقلت لأبي: ما قال؟ قال: كلهم من قریش".

قال ابن كثير - رحمه الله - في "تفسيره" (٧١/٦):

"وهذا الحديث فيه دلالة على أنه لابد من وجود اثني عشر خليفة عادلاً، وليسوا هم بأئمة الشيعة الاثني عشر، فإن كثيراً من أولئك لم يكن إليهم من الأمر شيء، فأما هؤلاء فإنهم يكونون من قریش. يلون فيعدلون".

• الحكمة من كون المهدي من نسل الحسن:

من المعلوم أن الحسن تولّى الخلافة بعد استشهاد أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام، فصار للمسلمين أميران، الحسن عليه السلام في العراق والحجاز... وغيرها، ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه في الشام وما حولها. وبعد ما حكم الحسن ستة أشهر تنازل عن الخلافة لمعاوية من غير عوض دنيوي، إنما لوجه الله تعالى، لجمع كلمة المسلمين على حاكم واحد، وحقن الدماء، فكافأه الله بذلك أن جعل الخلافة في آخر الزمان تكون من نسله، ومن ترك شيئاً لله أعطاه الله أو أعطى ذريته أكثر منه"

(انظر المنار المنيف لابن القيم: ص ١٥١)، (وفيض القدير: ٢٧٩/٦).

تنبيه:

ما رُوي أن المهدي من ولد الحسين، فكلها أحاديث لا تصح.

• صفاته:

فهو أجلى الجبهة (أي واسع الجبهة)، وشعره منحسرٌ عن مقدم رأسه إلى النصف، وهو أقنى الأنف (أي طويلة مع انحناء في وسطه، ورقة أرنبته)

وهذه الأوصاف ورد ذكرها في الحديث الذي أخرجه أبو داود عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "المهدي مني أجلى الجبهة^(١)، أقنى الأنف^(٢)، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً، يملك سبع سنين". (صحيح الجامع: ٦٧٣٦).

• مدة حكمه وبقائه:

اختلفت الروايات في مدة خلافة المهدي.

ف قيل: يحكم المسلمين سبع سنين، يملأ الأرض خلالها عدلاً كما ملئت قبله جوراً وظلماً
وقيل: أن مدة حكمه ثماني سنين، **وقيل:** تسع سنين.

فقد مر بنا في الحديث السابق أنه "يملك سبع سنين".

وقد روى هذا الحديث أيضاً الإمام أحمد عن أبي سعيد رضي الله عنه بلفظ:

" لا تقوم الساعة حتى يملك رجلٌ من أهل بيتي أجلى، أقنى، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت قبله ظلماً، يكون سبع سنين".

وأخرج الحاكم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

" يخرج في آخر أمتي المهدي، يسقيه الله الغيث^(٣)، وتخرج الأرض نباتها، ويعطى المال صحاحاً، وتكثر الماشية وتعظم الأمة، يعيش سبعاً أو ثمانياً، يعني: حجة". (الصحيحة: ٧١١).

(١) "أجلى الجبهة": أي منحسر الشعر من مقدمة رأسه وهو دون الصلع أو واسع الجبهة.
(٢) "أقنى الأنف": أي طويل الأنف مع دقة أرنبته وحذب في وسط الأنف، ليس أفطس الأنف. (النهاية ١١٦/٤).
(٣) الغيث: أي المطر النافع.

وأخرج الإمام أحمد والترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال:

"خشينا أن يكون بعد نبينا حدث؛ فسألنا نبي الله ﷺ فقال: إن في أمتي المهدي يخرج، يعيش خمساً، أو سبعاً، أو تسعاً، قال: قلنا: وما ذاك؟ قال: سنين، قال: فيجيء إليه الرجل، فيقول: يا مهدي، أعطني... أعطني، قال: فيحشى له في ثوبه ما استطاع أن يحمله". (حسنه الألباني في صحيح الترمذي: ١٨٢٠).

وفي رواية لأحمد وأبي يعلى:

"فيكون كذلك سبع سنين، أو ثماني سنين، أو تسع سنين".

وعند الطبراني في "الأوسط" عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

"يكون في أمتي المهدي، إن قصر فسبع، وإلا فثمان، وإلا فتسع".

وعند الطبراني في "الكبير" و"الأوسط" والبزار عن قرة بن إياس المزني رضي الله عنه عن النبي

ﷺ قال: "يمكث فيكم سبعاً أو ثمانياً، فإن أكثر فتسعا". (ضعيف ولمعناه شواهد).

وروى نعيم بن حماد في "الفتن" قال معمر: وقال قتادة:

"بلغني أن النبي ﷺ قال: يعيش في ذلك سبع سنين".

فهل هذه السبع أو الثماني أو التسع سنين التي وردت في الأحاديث تُحسب من وقت مبايعته؟ أم هي أيام النعمة والرخاء فقط؟ أو أن الغزوات تستغرق سنتين، ثم يكون الرخاء سبع سنين؟! يبدو أن الاحتمال الأخير هو الأرجح، وبهذا تتفق الروايات.

• مكان ظهور المهدي:

جاءت النصوص الصحيحة تُبين من أين يخرج المهدي؟، والمكان الذي يبايع فيه، وليس ثمة نص صحيح صريح في تحديد المكان الذي كان يعيش فيه قبل ذلك

أما بالنسبة للمكان الذي سيخرج منه؛ فهو أمر مختلف فيه: -

١ - فقيل: إنه يخرج من قبل المشرق.

وهذا ما رجّحه ابن كثير -رحمه الله- في البداية والنهاية: (٢٩/١)

ويُستدل لهذا الرأي بما أخرجه ابن ماجه والحاكم عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

" يقتل عند كنزكم ^(١) ثلاثة؛ كلهم ابن خليفة ^(٢)، ثم لا يصير إلى واحد منهم، ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق، فيقتلونكم قتلاً لم يقتله قوم... (ثم ذكر شيئاً لا أحفظه، فقال:) فإذا رأيتموه؛ فبايعوه، ولو حبواً على الثلج؛ فإنه خليفة الله المهدي " ^(٣).

قال ابن كثير -رحمه الله- كما في " النهاية في الفتن والملاحم " (٢٩/١):

" والمراد بالكنز المذكور في هذا السياق كنز الكعبة، يقتل عنده ليأخذه ثلاثة من أولاد الخلفاء، حتى يكون آخر الزمان، فيخرج المهدي، ويكون ظهوره من بلاد المشرق، لا من سرداب سامراء؛ كما يزعمه جهلة الرافضة من أنه موجود فيه الآن، وهم ينتظرون خروجه في آخر الزمان، فإن هذا نوع من الهذيان، وقسط كبير من الخذلان، شديد من الشيطان، إذ لا دليل على ذلك، ولا برهان؛ لا من كتاب، ولا سنة، ولا معقول صحيح، ولا استحسان."

وقال أيضاً -رحمه الله-: " ويؤيد بناس من أهل المشرق ينصرونه، ويقىمون سلطانه، ويشيدون أركانه، وتكون راياتهم سوداً أيضاً، وهو زي عليه الوقار؛ لأن راية رسول الله ﷺ كانت سوداء، يقال لها: العقاب."

إلى أن قال: " والمقصود أن المهدي الممدوح الموعود بوجوده في آخر الزمان يكون أصل ظهوره وخروجه من ناحية المشرق، ويبايع له عند البيت؛ كما دل على ذلك بعض الأحاديث ".

(١) كنزكم: قيل: كنز الكعبة، وهو ذهب وكنوز يُذكر أنها تحتها، وقيل: الملك، أي: الحكم والخلافة، وقيل: كنز الفرات، وهو الجبل من ذهب الذي يحسر عنه الفرات.

(٢) كلهم ابن خليفة: أي ثلاثة رجال، كل واحد له أتباع، وكل من هؤلاء الرجال كان أبوه ملكاً، فهو يطلب ملكاً كملك أبيه.

(٣) قال الألباني: " الحديث صحيح المعنى دون قوله: " فإنه خليفة الله المهدي "؛ فقد أخرجه ابن ماجه من طريق علقمة عن ابن مسعود مرفوعاً نحو رواية عثمان الثانية، وإسناده حسن، وليس فيه: " خليفة الله "، وهذه الزيادة: " خليفة الله " ليس لها طريق ثابت، ولا ما يصلح أن يكون شاهداً لها، فهي منكورة... ومن نكارتها أنه لا يجوز في الشرع أن يقال: خليفة الله. لما فيه من إيهام ما لا يليق بالله تعالى من النقص والعجز."

ثم نقل عن " الفتاوى " لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- كلاماً يرد فيه على من قال: إن الخليفة هو الخليفة عن الله؛ لأن الله تعالى لا يجوز له خليفة، فهو الحي الشهيد المهيمن القيوم الرقيب الحفيظ الغني عن العالمين، وإن الخليفة إنما يكون عند عدم المستخلف بموت أو غيبة، والله منزّه عن ذلك. (انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، المجلد الأول، (ص ١١٩-١٢١) (ح ٨٥).

٢ - وقيل: إن أول ظهور المهدي سيكون في بيت المقدس (أي سيكون أول ظهوره بالشام).
ولعل هذا مأخوذ من قوله ﷺ: " وكلهم - أي المسلمون - ببيت المقدس، وإمامهم رجل صالح قد تقدم ليُصلِّي بهم، إذ نزل عيسى... ". الحديث. (انظر فتح الباري: ٤٩٣/٦).
ويدل على هذا أيضاً ما رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال:
" لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق، فيخرج إليهم جيش من المدينة... ".
الحديث وفيه: " فإذا جاءوا الشام خرج - أي الدجال - فبينما هم يعدُّون للقتال، يُسَوِّون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابن مريم... ". الحديث.

٣ - وقيل: إن أول ظهوره يكون في مكة والمدينة، وهو الراجح.
ويستدل لهذا الرأي بما رواه أبو داود عن أم سلمة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ قال:
" يكون اختلاف عند موت خليفة، فيخرج رجلٌ من أهل المدينة هارباً إلى مكة، فيأتيه ناسٌ من أهل مكة؛ فيخرجونه وهو كاره؛ فيبايعونه بين الركن والمقام، ويُبعث إليه بعث من أهل الشام؛ فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة... ". الحديث.

٤ - وأغرب البعض فادَّعى خروجه من المغرب
وقد أشار القرطبي في كتابه " التذكرة " (ص ٧٢٣-٧٢٥): إلى ضعف هذا القول.
وقد حاول القاري - رحمه الله - في " شرح الفقه الأكبر " (ص ١١٢) الجمع بين الروايات
فقال:

" ترتب القضية أن المهدي ﷺ يظهر أولاً في الحرمين الشريفين، ثم يأتي بيت المقدس، فيأتي الدجال، ويحصره في ذلك الحال، فينزل عيسى ﷺ من المنارة الشرقية في دمشق الشام، ويجيء إلى قتال الدجال، فيقتله بضربة في الحال...، فيجتمع عيسى ﷺ بالمهدي ﷺ وقد أقيمت الصلاة - فيُصلِّي المهدي ويقتدي به عيسى ﷺ ليظهر متابعتنا لنبينا ﷺ.

ويشتهر أمر المهدي عندما يعوذ بالبيت، فيلحق به جيش لينال منه فيخسف الله بهم الأرض.
- فقد أخرج البخاري ومسلم عن عائشة - رضي الله عنها - قالت:

" عُبْتُ^(١) رسول الله ﷺ في منامه، فقلنا: يا رسول الله، صنعتَ شيئاً في منامك لم تكن تفعله؟ فقال: العجب أن ناساً من أمتي يؤمُّون البيت لرجل من قريش، قد لجأ بالبيت، حتى إذا كانوا بالبيداء خُسف بهم، فقلنا: يا رسول الله، إن الطريق قد يجمع الناس، فقال: نعم. فيهم المستبصر، والمجبور، وابن السبيل، يهلكون مهلكاً واحداً، ويصدرون مصادر شتى، يبعثهم الله ﷻ على نياتهم".

- وأخرج الإمام مسلم عن أم سلمة - رضي الله عنها - عن النبي ﷺ قال: " يعوذُ عائذ بالبيت، فيبعث إليه بعث، فإذا كانوا ببيداء من الأرض خُسف بهم، فقلت: يا رسول الله، فكيف بمن كان كارهاً؟ قال: يُخسف به معهم، ولكنه يُبعث يوم القيامة على نيته".

- وأخرج أبو داود عن أمِّ سلمة أم المؤمنين - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ قال: " يكون اختلاف عند موت خليفة، فيخرجُ رجلٌ من أهل المدينة هارباً إلى مكة، فيأتيه ناسٌ من أهل مكة فيخرجونه وهو كارهٌ فيبايعونه بينَ الرُّكنِ والمقام. وَيُبعَثُ إليه بعثٌ من أهل الشام؛ فيخسف بهم بالبيداء بينَ مكة والمدينة^(٢)، فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال الشام^(٣) وعصائب أهل العراق^(٤)؛ فيبايعونه بينَ الركن والمقام، ثم ينشأ رجلٌ من قريشٍ أخواله كلب^(٥) فيبعث إليهم بعثاً فيظهرون عليهم^(٦)، وذلك بعث كلب والخبيبة^(٧) لمن لم يشهد غنيمة كلب، فيقسم المال ويعمل في الناس بسنة نبيهم: ويلقي الإسلام بجرانه^(٨) في الأرض فيلبث سبع سنين - وفي رواية أخرى: تسع سنين - ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون".

(١) عُبْتُ: بكسر الباء، أي تحرك جسمه الشريف، أو بعضه، وقيل: حرك أطرافه كمن يأخذ شيئاً، أو يدفعه (انظر شرح النووي: ٦/١٨)

(٢) "بعث من أهل الشام": أي جيش من أهل الشام، "بالبيداء بين مكة والمدينة": صحراء بين مكة والمدينة.

(٣) "أبدال الشام": أولياؤها وعتابها.

(٤) "وعصائب أهل العراق": خيارهم وصالحهم.

(٥) "أخواله كلب": أي قبيلة كلب، وهي من قبائل العرب المشهورة.

(٦) "فيظهرون عليهم": يغلبونهم وينتصرون عليهم.

(٧) الخبيبة: أي: الخسارة.

(٨) "جرانه في الأرض": الجرن: باطن عنق الإبل، والجمع: جُرُن، وشبه ثبات الإسلام وتمكُّنه، بصورة البعير الذي قعد على الأرض وبسط عنقه (جرانه) على الأرض. والمعنى: أن الإسلام قد قرَّر قراره واستقام، وطُبِّقَت أحكامه، كما أن البعير إذا برَك واستراح مدَّ جراحه على الأرض.

• وجوب مبايعة المهدي:

فبعد أن خُسف بهذا الجيش، وظهرت هذه الكرامة وانتشرت بين الناس، فهنا يعلم الجميع أنه المهدي، فيأتيه الناس من كل صوب وحذب ليبايعونه، وهذا يجب على كل من أدرك هذا الزمان، وهذا أمر من الحبيب العدنان عليه السلام. فقد أخرج ابن ماجه والحاكم عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ.

" يقتل عند كنزكم ثلاثة؛ كلهم ابن خليفة، ثم لا يصير إلى واحد منهم، ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق، فيقتلونكم قتلاً لم يقاتله قوم... (ثم ذكر شيئاً لا أحفظه، فقال:) فإذا رأيتموه؛ فبايعوه، ولو حبواً على الثلج؛ فإنه خليفة الله المهدي ^(١) ".

فيبايعه الناس بين الركن والمقام، كما جاء بذلك الحديث.

فقد أخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

" يُبايع لرجل ما بين الركن والمقام، ولن يستحل البيت إلا أهله، فإذا استحلوه؛ فلا يُسأل عن هلكة العرب، ثم تأتي الحبشة، فيخربونه خراباً لا يُعمر بعده أبداً، وهم الذين يستخرجون كنزه "

• ثم يصلحه الله تعالى في ليلة:

كما أخبر بذلك النبي ﷺ.

فقد أخرج الإمام أحمد عن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

" المهدي من أهل البيت، يصلحه الله في ليلة ^(٢) ". (صحيح الجامع: ٦٧٣٥).

وهذا يعني أن المهدي " محمد بن عبد الله " لن يعرف نفسه أنه المهدي المقصود؛ حتى يبايعه الناس ويجتمعون عليه، وليس بطالب للخلافة، ولا ظان لأهليته لها، ولذلك يبايعه الناس وهو كاره.

(١) ضعفه الألباني - رحمه الله - بهذا اللفظ، في " السلسلة الضعيفة " رقم (٨٥)، وقال - رحمه الله -: منكر.
(٢) يصلحه الله في ليلة: لعل المراد بذلك: أن الله يصلحه للخلافة، أي: يهيئه لها، ويوفقه ويلهمه ويرشده، ويعطيه من صفات القيادة والحكمة، ما لم يكن عنده من قبل. وقيل: يصلحه الله في ليلة، أي: يصلح أمره، ويرفع قدره في ليلة واحدة، أو في ساعة واحدة من الليل، حيث يتفق على خلافته أهل الحل والعقد فيها (قاله ملا على القاري في " مرقاة المفاتيح " ١٨٠/٥).

تنبيه:

قيل: إن معنى: "**يصلحه الله في ليلة**" أن يكون مثلبساً ببعض النقائص، فيصلحه الله، ويتوب عليه، وهذا بعيد، فليس معنى " يصلحه الله في ليلة" أنه كان ضالاً عاصياً، فيهديه الله في ليلة، وبصبح يقود الناس، كلا؛ لأن المهدي يقود الناس بعلم شرعي مؤصل، فهو يحكم بينهم ويفتيهم، ويفصل خصوماتهم، ويقودهم في القتال، وهذا العلم لا يجتمع في ليلة.

- وبالتالي يكون معنى: "**يصلحه الله في ليلة**" أي يجعله يقتنع أنه المهدي المقصود بكلام النبي ﷺ، ويؤتية من صفات القيادة ما يؤتية - كما مر بنا..

والعرب تستعمل كلمة: "**أصلحه الله**" للمدح والدعاء، فكانوا يبدعون خطاب الأمراء بكلمة "**أصلح الله الأمير**" أي: وفقه وسدّد خطاه وأصلح شأنه. (انظر النهاية في الفتن والملاحم: ٢٩/١).

شبهة... والرد عليها:

قدح بعض المعاصرين في حديث النبي ﷺ:

" **المهدي منا أهل البيت، يصلحه الله في ليلة**"; لاستبعاد معناه

وقد ردّ على هذا فضيلة الشيخ عبد المحسن العباد -رحمه الله- فقال: " وأي غرابة في معناه، والله على كل شيء قدير، وهو الفعّال لما يريد، ومن يهديه الله فهو المهتد، ومن يُضلل فلن تجد له ولياً مرشداً؟!

ومن أوضح الأمثلة في ذلك؛ ما حصل لمن هو أفضل من المهدي ومن سائر الأمة سوى أبي بكر ﷺ؛ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ؛ فقد كان من أشدّ الناس على المسلمين، ثم تحوّل بقدرة الله وتوفيقه، فصارت شدته على أعداء الإسلام والمسلمين، وأصبح ذلك الرجل العظيم الذي إذا سلك فجاً سلك الشيطان فجاً غيره، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ " اهـ.

(الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي، لفضيلة الشيخ عبد المحسن العباد: ص ٧٩).

• وفي زمان المهدي يكثر الخير:

وفي عهد المهدي تكثر الخيرات، وتعم البركات، وتتعم الأمة في عهده نعمة لم تتعمها قط، فتُخرج الأرض خيراتها، وتُنزل السماء بركاتها، ويكثر المال ويفيض، حتى أن الرجل ليخرج بصدقته، فلا يجد من يقبلها منه.

قال ابن كثير - رحمه الله - كما في " الفتن والملاحم " (٣١/١):

" في زمانه تكون الثمار كثيرة، والزروع غزيرة، والمال وافر، والسلطان قاهر، والدين قائم، والعدو راغم، والخير في أيامه دائم". اهـ.

- **وقد جاء في " مستدرك الحاكم " عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:**

" يخرج في آخر أمتي المهدي؛ فيسقيه الله الغيث، وتُخرج الأرض نباتها، ويُعطى المال صحاحاً^(١)، وتكثر الماشية، وتعظم الأمة، يعيش سبعاً أو ثمانياً " " يعني: حجاً " .

(الصحيحة: ٧١١).

- **وأخرج الإمام مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:**

" يكون خليفة من خلفائكم في آخر الزمان، يحثو المال، ولا يعده " .

- **وفي رواية عند مسلم أيضاً: " من خلفائكم خليفة، يحثي المال حثياً، ولا يعده عدداً " .**

- **وفي أخرى: " يكون آخر الزمان خليفة، يحثو المال حثواً^(٢) " .**

- **وأخرج الإمام مسلم عن الحريري عن أبي نضرة قال:**

" كنا عند جابر بن عبد الله فقال: يوشك أهل العراق أن لا يجيء إليهم قفيز^(٣) ولا درهم^(٤) .

قلنا: من أين ذاك؟ قال: من قبل العجم^(٥)، يمنعون ذاك، ثم قال: يوشك أهل الشام أن لا

يُجَبَى إليه دينار^(٦) ولا مُدي^(٧) . قلنا: من أين ذاك؟ قال: من قبل الروم، ثم أَسَكَّتْ هنيهة،

ثم قال: قال رسول الله ﷺ: " يكون في آخر أمتي خليفة يحثي^(٨) المال حثياً لا يعده عدداً " .

قال الحريري: قلت لأبي نضرة وأبي العلاء: أترى أن عمر بن عبد العزيز؟ فقالوا: لا .

(١) يعطى المال صحاحاً: أي تسوية بين الناس.

(٢) الحثو أو الحثي: الحفن باليد.

(٣) قفيز: هو مكيال أهل العراق، مثل قولنا: صاع، كيلو، طن.

(٤) درهم: هي عملة من الفضة كانوا يتداولونها قديماً.

(٥) من قبل العجم: العجم يطلق على غير العرب سواء تكلم العربية أم لا، ثم صار علماً على الفرس.

(٦) دينار: عملة من الذهب.

(٧) مُدي: مكيال لأهل الشام، مثل قولنا: صاع، كيلو، طن.

(٨) يحثي: والحثو هو الحفن باليد، وإنما يفعل الخليفة ذلك لكثرة الغنائم والفتوحات والأموال مع سخاء نفسه، والمقصود بالخليفة في هذا الحديث: إنما هو المهدي بدلالة الأحاديث السابقة التي نصّت عليه باسمه، وذلك لكثرة الغنائم والفتوحات في عهده مع سخاء نفسه، وبذلك الخير لكل الناس.

أخرج الإمام أحمد وأبو يعلى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أبشركم بالمهدي، يبعث على اختلاف من الناس وزلازل، يقسم المال صحاحاً، فقال له رجل: ما صحاحاً؟ قال: بالسوية بين الناس، قال: ويملاً الله قلوب أمة محمد ﷺ زهداً، ويسعهم عدله، حتى يأمر منادياً فينادي فيقول: مَنْ له في مال حاجة؟ فما يقوم من الناس إلا رجل، فيقول: انت السدان - يعني الخازن - فقل له: إن المهدي يأمرك أن تعطيني مالاً، فيقول له: احث^(١)، حتى إذا حجره وأبرزه^(٢)؛ ندم، فيقول: كنت أجشع أمة محمد ﷺ نفساً! أو عجز عني ما وسعهم؟ قال: فيرده، فلا يقبل منه، فيقال: إنا لا نأخذ شيئاً أعطينا، فيكون كذلك سبع سنين، أو ثمان سنين، أو تسع سنين، ثم لا خير في العيش بعده، أو قال: لا خير في الحياة بعده". (قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٣١٣/٧): "رواه الترمذي وغيره باختصار كثير، ورواه أحمد بأسانيد، وأبو يعلى باختصار كثير، ورجالهما ثقات).

وفي هذا الحديث دليل على أنه بعد موت المهدي يظهر الشر والفتن العظيمة.

- وأخرج الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "يكون في أمتي المهدي، إن قصر فسبع، وإلا فثمان، وإلا فتسع، تنعم أمتي فيه نعمة لم ينعموا مثلها، ترسل السماء عليهم مدراراً، ولا تدخر الأرض شيئاً من النبات، والمال مكدوس، يقوم الرجل يقول: يا مهدي أعطني، فيقول: خذ".

- وأخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال ويفيض، وحتى يخرج الرجل بركة ماله، فلا يجد أحداً يقبلها، وحتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً".

- وفي "الصحيحين" عن حارثة بن وهب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "تصدقوا، فسيأتي عليكم زمان، يمشي الرجل بصدقته، فيقول الذي يأتيه بها: لو جئت بالأمس لقبلتها، فأما الآن فلا حاجة لي فيها، فلا يجد من يقبلها".

وهذا كله يدل على إفاضة المال، والنعمة والرخاء والرضا والقناعة التي يتمتع بها أهل هذا الزمان مع وجود التقوى التي هي أصل كل خير، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦]

(١) احث: أي خذ بيدك من غير عدّ عليك ولا إحصاء.

(٢) وأبرزه: أي جمع مالاً، وحده بين يديه ليجمعه في ثوب أو نحوه ويأخذه.

وأخرج الإمام مسلم في حديث النواس بن سمعان الطويل رضي الله عنه في الحديث في ذكر الدجال، ونزول عيسى، وخروج يأجوج ومأجوج في زمان عيسى عليه السلام ودعائه عليهم وهلاكهم، وفيه قوله ﷺ: "ثم يرسل الله مطراً لا يَكُنُّ منه بيتٌ مدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة - المرأة - ثم يقال للأرض: أنبتى ثمرتك، وردى بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون بقحفها، ويبارك في الرسل - اللبن - حتى إن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس".

إشكال... والرد عليه:

جاءت بعض الآثار تبين أنه لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه

كما جاء في الحديث الذي أخرجه الطبراني في "الكبير" عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "ليس عام إلا والذي بعده شر منه".

وكذلك عند الطبراني في "الكبير" عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "أمس خير من اليوم، واليوم خير من الغد، وهكذا حتى تقوم الساعة".

وأخرج البخاري عن الزبير بن عدي قال:

"أتينا أنس بن مالك رضي الله عنه؛ فشكونا إليه الحجاج، فقال: اصبروا، فإنه لا يأتي عليكم يومٌ أو زمانٌ إلا والذي بعده شرٌّ منه، حتى تلقوا ربَّكم، سمعته من نبيكم ﷺ".

فلعل قائل يقول: كيف يمكن الجمع بين هذه الآثار وبين أحاديث الباب، والتي فيها أن في زمن المهدي ستحل البركة، ويكثر الخير، ويفيض المال، وتعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً؟ والجواب عن هذا كما قال أهل العلم:

ذكر ابن حبان عند ترجمته حديث أنس رضي الله عنه فقال: "ذكرُ خبرٍ أوهمَ من لم يُحْكَمْ صناعة الحديث أن آخر الزمان على العموم يكون شراً من أوله، ثم اتبع ابن حبان ترجمة تدفع هذا الإيهام فقال: ذكرُ الخبر المصرح بأن خبر أنس بن مالك لم يُردْ بعموم خطابه على الأحوال كلها".

(الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: ٢٨٢/١٣).

ثم أسند ابن حبان بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "لو لم يَبْقَ من الدنيا إلا ليلةٌ، لتملك فيها رجلٌ من أهل بيت النبي ﷺ".

إذن حديث أنس رضي الله عنه السابق ليس على عمومته أو إطلاقه، لثبوت أدلة تخصص عمومته، وتقيد مطلقه، ولذلك ينبغي حمله على الأغلب من الزمان، أو يحمل معناه على أن كل زمان بجملة ما فيه من خير أفضل من الزمان الذي يليه.

وقال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: "وقد استشكل هذا الإطلاق مع أن بعض الأزمنة تكون في الشر دون التي قبلها، ولو لم يكن في ذلك إلا زمن عمر بن عبد العزيز، وهو بعد زمن الحجاج بيسير، وقد اشتهر الخير الذي كان في زمن عمر بن عبد العزيز، ثم قال الحافظ -رحمه الله-: "ويُحْتَمَلُ أن يكون المراد بالأزمنة المذكورة في حديث أنس هي أزمنة الصحابة بناء على أنهم هم المخاطبون بذلك فيختص بهم، فأما مَنْ بعدهم فلم يُقصد في الخبر المذكور، لكن الصحابي (يقصد أنس) فُهم التعيم، فلذلك أجاب مَنْ شكا إليه الحجاج بذلك، وأمرهم بالصبر، وهم أو جُلُهم من التابعين.

واستدل ابن حبان في "صحيحه" بأن حديث أنس رضي الله عنه ليس على عمومته بالأحاديث الواردة في المهدي، وأنه يملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً. (اه بتصرف من فتح الباري: ٢١/١٣)

وقال العلامة الألباني -رحمه الله- كما في "سلسلة الأحاديث الصحيحة" (١٠/١):

هذا الحديث (يعني حديث أنس) ينبغي أن يُفهم على ضوء الأحاديث التي تبشر بأن المستقبل للإسلام، وغيرها، مثل أحاديث المهدي، ونزول عيسى عليه السلام فإنها تدل على أن هذا الحديث ليس على عمومته، بل هو من العام المخصوص، فلا يجوز إفهام الناس أنه على عمومته، فيقعوا في اليأس الذي لا يصح أن يتصف به المؤمن: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْسُ مِنَ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

فخلاصة الأمر: أن حديث أنس رضي الله عنه: "لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه". ليس على إطلاقه أو عمومته، فهو وإن كان حالة الناس الدينية في تراجع مستمر مع الزمن، ولكنه تراجع بشكل عام لا بشكل فردي فهو من العام المخصوص، والمخصّص هو قول النبي ﷺ:

"مثل أمتي مثل المطر، لا يدري آخره خير أم أوله؟". (أحمد والترمذي)

وفي "صحيح مسلم" من حديث ثوبان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك".

وعند الإمام أحمد من حديث أبي عتبة الخولاني رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

"لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرساً، يستعملهم فيه بطاعته إلى يوم القيامة".

(صحيح الجامع: ٧٦٩٢).

• وفي زمن المهدي ينزل عيسى عليه السلام.

جاء في " كتاب الإشاعة ص ٩١ عن البرزنجي - رحمه الله - أنه قال:
" ومن العلامات التي يُعرفُ بها المهدي؛ أنه يجتمع بعيسى ابن مريم عليه السلام ويصلي عيسى خلفه".

وجاء في " كتاب الكمال في أسماء الرجال " (٣/ ١١٥٤) لأبي الحجاج يوسف المزي:
عن الحافظ أبو الحسن الآبري: أنه قال: " قد تواترت الأخبار واستفاضت عن رسول الله ﷺ بذكر المهدي، وأنه من أهل بيته، وأنه يملك سبع سنين، وأنه يملأ الأرض عدلاً، وأن عيسى عليه السلام يخرج، فيساعده على قتل الدجال، وأنه يوم هذه الأمة، ويصلي عيسى خلفه".

أخرج أبو نعيم عن أبي سعيد الخدري عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: " مَنْ أَلِى يُصَلِّي عِيسَى
ابن مريم خلفه ". (صحيح الجامع: ٥٩٢٠).

والمقصود هنا أن المهدي يصلي بالناس إماماً، ويكون عيسى عليه السلام من جملة المأمومين.

أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: " كيف أنتم إذا نزل ابن
مريم فيكم، وإمامكم منكم؟! ".

والمقصود بالإمام هنا هو المهدي " محمد بن عبد الله "

ودليل ذلك ما أخرجه أبو نعيم والحاثر بن أسامة في " مسنده بسند جيد عن جابر عليه السلام
قال: أن النبي ﷺ قال: " ينزل عيسى ابن مريم، فيقول أميرهم المهدي: تعال صل بنا،
فيقول: لا، إن بعضهم أمير بعض، تكرمة الله هذه الأمة ". (أورده السيوطي في " الحاوي " : ٦٤/٢، وعزاه
لأبي نعيم في أخبار المهدي، وأورده ابن القيم في " المنار المنيف"، وعزاه إلى الحارث بن أسامة في " مسنده " ثم قال: وهذا إسناد جيد).

ويدل على ذلك أيضاً ما أخرجه أبو عمر الداني في " سننه " عن حذيفة بن اليمان عليه السلام أن
رسول الله ﷺ قال: " يلتفت المهدي، وقد نزل عيسى ابن مريم، كأنما يقطر من شعره
الماء، فيقول المهدي، تقدّم صل بالناس، فيقول عيسى: إنما أقيمت الصلاة لك، فيصلي
خلف رجل من ولدي ".

وأخرج الإمام مسلم عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " لا تزال طائفة من أمتي يُقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام، فيقول أميرهم: تعال صل بنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمه الله هذه الأمة (١)".

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-:

" وفي صلاة عيسى خلف رجل من هذه الأمة - مع كونه في آخر الزمان، وقرب قيام الساعة - دلالة للصحيح من الأقوال أن الأرض لا تخلو عن قائم لله بحجة، والله اعلم". اهـ. (فتح الباري: ٤٩٤/٦)

تنبيه:

هذه الأحاديث تدل على أن الدجال يخرج زمن المهدي، ثم ينزل عيسى عليه السلام لقتل الدجال.

شبهة... والرد عليها

أنكر بعضهم ما ورد من أن عيسى عليه السلام إذا نزل يُصلي خلف المهدي صلاة الصبح، وصنّف في ذلك كتاباً، وقال في توجيه ذلك: "إن النبي عيسى عليه السلام أجل مقاماً من أن يُصلي خلف غير نبي".
وجواب هذا من أوجه:

الأول: أن صلاة عيسى خلف المهدي ثابتة في عدة أحاديث بإخبار رسول الله ﷺ، وهو الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٤]. وقد تقدّم ذكرها.

الثاني: أن الحكمة من ذلك أن لا يتدنّس عيسى عليه السلام بغبار الشبهة؛ إذ لو تقدم عيسى إماماً لوقع في النفس إشكال، ولقيل: أتراه نائباً، أو مبتدئاً شرعاً؟

والثالث: لا شك أن عيسى أكمل من المهدي؛ لأنه نبي الله، إلا أن الثابت شرعاً جواز إمامة المفضل للفاضل؛ وهذا رسول الله ﷺ، وهو من أجل الأنبياء مقاماً، وأرفعهم درجة - قد صلى في غزوة تبوك خلف عبد الرحمن بن عوف عليه السلام، ففي الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم والشافعي - رحمه الله - في "مسنده" عن المغيرة بن شعبه عليه السلام قال: "فأقبلت معه حتى نجد الناس قد قدموا عبد الرحمن بن عوف قد صلى لهم، فأدرك النبي ﷺ إحدى الركعتين معه، وصلى مع الناس الركعة الآخرة، فلما سلم عبد الرحمن، قام رسول الله ﷺ وأتم صلاته، فأفزع ذلك المسلمين، وأكثروا التسبيح، فلما قضى النبي ﷺ صلاته، أقبل عليهم، ثم قال: "أحسنتم"، أو قال: "أصبتم"، يغبطهم أن صلوا الصلاة لوقتها".

(١) "تكرمة الله هذه الأمة": أي: من إكرام الله لأمة محمد ﷺ أن يجعل عيسى ابن مريم عليه السلام يُصلي خلف واحد منها.

أخرج الترمذي عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: "صلى النبي ﷺ خلف أبي بكر، في مرضه الذي مات فيه، قاعداً".

فالإخلاصة:

أنه ليس كون المسيح ﷺ يُصلي خلف المهدي، يدل على أن المهدي أفضل من عيسى ﷺ، فهناك فارق كبير بين النبوة ومقام الولاية، أضف إلى هذا أن المهدي بعد ذلك سيقبلي بعيسى ﷺ ويكون جنداً من ضمن جنوده.

وصفوة القول: المهدي رجل من أهل البيت، اسمه "محمد بن عبد الله"، من ذرية فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضي الله عنها- ثم من ولد الحسن بن علي -رضي الله عنهما- فهو علوي فاطمي حسني، يصلحه الله في ليلة، فيوفقه ويفهمه ويرشده، ويعطيه بسطة في العلم واقتداراً على تحقيق العدل، بعد أن لم يكن كذلك.

يظهر حين يطغى الفساد، يبايعه الناس بالإمارة بين الركن والمقام عند البيت؛ رجاء أن يكون صلاح الحال على يديه، فيقبلها عن كُرِهٍ، وهو لا يعلم، وهم لا يعلمون أنه المهدي المنتظر، فلا يسبق توليته ادعاؤه أنه هو المهدي، بل إنه لا يعرف نفسه، وإنما يختاره الله فيختاره الناس فجأة. حتى إذا تمت البيعة ومارس مهمته، جاء جيش من الشام لمحاربتة، وما إن يصل الجيش إلى البداء، حتى يخسف الله بهم، وحينئذ يعرف القاصي والداني أنه المهدي المنتظر، فتأتي الوفود لمبايعته، ويؤيده الله بناس من المشرق ينصرونه، ويقيمون سلطانه ويشدون أركانه، راياتهم سوداء، وهو زئ الوقار، فيتغلب على قوى الشر المحيطة به، ويملا الأرض عدلاً كما ملئت جوراً. وفي زمانه تكون الثمار كثيرة، والزرع غزيرة، والمال وافراً، والسلطان قاهراً، والدين قائماً، والعدو راغماً، والخير في أيامه دائماً.

• خلاصة ما سبق: أن هناك علامات يُعَرَف من خلالها المهدي وهي: -

١- أن المهدي لا يدعو إلى نفسه ولا ينادي إلى بيعته، وإنما يجتمع عليه الناس فيبايعونه وهو مُكْرَه. **عن حفص بن غياث قال: " قلت لسفيان الثوري: يا أبا عبد الله، إن الناس قد أكثروا في المهدي، فما تقول فيه؟ قال: إن مرَّ على بابك فلا تكن منه في شيء حتى يجتمع الناس عليه. (حلية الأولياء: ٣١/٧)**

٢- اسمه يوافق اسم النبي ﷺ، واسم أبيه يوافق اسم والد النبي ﷺ.

كما مر في الحديث الذي أخرجه أبو داود وأحمد والترمذي: " يُوَاطِيءُ اسْمُهُ اسْمِي، واسمُ أبيه اسم أبي ".

٣- يكون من أهل بيت النبي ﷺ.

كما مر في الحديث الذي أخرجه ابن ماجه والحاكم: " المهدي من عترتي من ولد فاطمة". فهو من نسل فاطمة -رضي الله عنها- بنت رسول الله ﷺ، ومن صلب الحسن بن علي -رضي الله عنهما-.

٤- أن تتطبق عليه الصفات الخلقية التي وصفه بها خير البرية ﷺ.

فهو أجلى الجبهة، وشعره منحسر عند مقدم رأسه إلى النصف، أفتى الأنف (أي طويله) مع انحناء في وسطه، ورقة أرنبته)، **كما جاء في الحديث الذي أخرجه أبو داود: " المهدي مني، أجلى الجبهة، أفتى الأنف ".**

٥- يخرج في زمن اختلاف بعد موت خليفة وصراع على السلطة.

كما جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد والترمذي:

" أبشركم بالمهدي، يبعث على اختلاف من الناس وزلازل " - وفي رواية ابن ماجه والحاكم: " يقتتل عند كنزكم ثلاثة، كلهم ابن خليفة، ثم لا يصير إلى واحد منهم... إلى قوله: " فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حبواً على الثلج، فإنه خليفة الله المهدي ".

٦- يظهر في مكة ويبايع بين الركن والمقام.

كما جاء في الحديث الذي أخرجه أبو داود:

" يكون اختلاف عند موت خليفة، فيخرج رجل من أهل المدينة هارباً إلى مكة، فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره؛ فيبايعونه بين الركن والمقام".

٧- يأتي جيش من الشام لمحاربتة فيخسف الله بهم بالبيداء التي بين مكة والمدينة

كما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة -رضي الله عنها- قالت:

" بعث رسول الله ﷺ في منامه، فقلت يا رسول الله صنعت شيئاً في منامك لم تكن تفعله، فقال: العجب أن ناساً من أمتي يؤمنون البيت لرجل من قريش، قد لجأ بالبيت حتى إذا كانوا بالبيداء خُسف بهم".

٨- يصلحه الله في ليلة واحدة:

كما جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد: " المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة ".

٩- يملأ الدنيا عدلاً بعد أن ملئت جوراً، وتكثر الخيرات في عهده.

كما جاء في الحديث الذي أخرجه الحاكم: " يخرج في آخر أمتي المهدي، يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطى المال صحاحاً، وتكثر الماشية، وتعظم الأمة ".

وفي رواية أخرى عند الطبراني في " الكبير " و " الأوسط " والبزار بسند فيه مقال:

" لتُملأ الأرض جوراً وظلماً، فإذا ملئت جوراً وظلماً، يبعث الله رجلاً مني، اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، فيملؤها عدلاً وقسطاً، كما ملئت جوراً وظلماً، فلا تمنع السماء شيئاً من قطرها، ولا الأرض شيئاً من نباتها".

١٠- يظهر في زمنه الدجال وينزل عيسى ابن مريم - عليهما السلام - ويصلي خلفه

كما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم:

" فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام، فيقول أميرهم: تعال صلّ لنا، فيقول: لا. إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة".

والمقصود بالأمير هنا هو المهدي، كما جاء في رواية أخرى توضح ذلك: " ينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم المهدي: تعال صلّ بنا، فيقول: لا. إن بعضهم أمير بعض، تكرمة الله هذه الأمة"

١١- تكون مدة حكمه وبقائه سبع، أو ثمان، أو تسع سنين.

كما جاء في الحديث الذي أخرجه الحاكم: " يعيش سبعاً أو ثمانياً - يعني حججاً "

- وفي رواية عند الإمام أحمد والترمذي: " إن في أمتي المهدي يخرج، يعيش خمسا، أو سبعا، أو تسعاً ... "

• لابد من العمل لنصرة الإسلام، وعدم التواني والتكاسل بحجة انتظار المهدي.

قال الشيخ الألباني: -رحمه الله-

" لا يجوز للمسلمين اليوم أن يتركوا العمل للإسلام، وإقامة دولته على وجه الأرض؛ انتظاراً منهم لخروج المهدي، ونزول عيسى - عليهما السلام - يأساً منهم، أو توهمًا أن ذلك غير ممكن قبلهما، فإن هذا توهمٌ باطل، ويأس عاطل؛ فإن الله تعالى أو رسوله ﷺ لم يخبرنا أن لا عودة للإسلام، ولا سلطان له على وجه الأرض، إلا في زمانهما، فمن الجائز أن يتحقق ذلك قبلهما إذا أخذ المسلمون بالأسباب الموجبة لذلك؛ لقوله تعالى: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

وقوله: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

ولقد كان هذا التوهم من أقوى الأسباب التي حملت بعض الأستاذة المرشدين، والكُتَّاب المعاصرين، على إنكار أحاديث المهدي وعيسى - عليهما السلام - على كثرتها، وتواترها؛ لما رأوا أنها عند المتوهمين مدعاة للتواكل عليها، وترك العمل لنصرة الإسلام من أجلها، فاخطئوا في ذلك أشد الخطأ من وجهين: الأول: أنهم أقروهم على هذا التوهم؛ على اعتبار أن مصدره تلك الأحاديث المشار إليها، وإلا، لم يبادروا إلى إنكارها.

والآخر: أنهم لم يعرفوا كيف ينبغي عليهم أن يعالجوا التوهم المذكور؟ وذلك بإثبات الأحاديث، وإبطال المفاهيم الخاطئة من حولها - إلى أن قال - رحمه الله -: " وكذلك أقول في أحاديث نزول عيسى عليه السلام وغيرها، فإن الواجب فيها إنما هو الإيمان بها، ورد ما توهمه المتوهمون منها؛ من ترك العمل، والاستعداد الذي يجب القيام به في كل زمان ومكان، وبذلك نكون قد جمعنا بين صواب هؤلاء وهؤلاء، ورددنا هؤلاء وهؤلاء، والله المستعان " اهـ بتصريف (قصة المسيح الدجال للألباني: ص ٣٦-٣٨).

قال الشيخ محمد إسماعيل المقدم -حفظه الله- في كتابه " المهدي، وفقه أشراف الساعة "

(ص ٧٢٣): " ولئن وقع منا تردد في: هل زماننا هو زمان ظهور المهدي؟ فلا ينبغي أن نتردد في الجزم بأننا - سواء كان هذا زمان ظهوره أو لا - ملزمون بكافة التكاليف الشرعية: من طاعة الله، والجهاد في سبيله، وطلب العلم، والدعوة إلى دينه، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصبر على الأذى في ذلك كله، وغير ذلك من الواجبات، فما يتوهمه بعض الكسالى من أن ظهور المهدي سيكون بداية عصر - الاسترخاء والدعة - باطل باطل، بل النصوص تشير إلى أنه سيكون بداية للفتوح، والجهاد، والبذل في سبيل إعلاء كلمة الله ﷻ.

نظرة سريعة فيمن ادعى أنه المهدي:

عند التأمل في التاريخ، وتتابع العصور، ومرور المسلمين بحالات من الاختلاف والظلم، وانتشار الجور

من الولاة وغيرهم، نجد أنه ظهر رجال زعموا أنهم المهدي، واعتقد الناس فيهم ذلك، ومن هؤلاء: -

١- الرافضة يزعمون أن لهم مهدياً ينتظرونه، وهو آخر أئمتهم الاثني عشر، واسمه عندهم " محمد بن

الحسن العسكري"، وهو عندهم من ولد الحسين بن علي، لا من ولد الحسن بن علي. **ويعتقدون:**

- أنه دخل سرداب سامراء سنة (٢٦٠هـ) يعني منذ أكثر من ألف ومائة سنة.

- لما دخل السرداب كان عمره خمس سنوات، وهو يعيش في هذا السرداب منذ ذلك الحين، ولم يمت، وسوف يخرج في آخر الزمان.

- ويعتقدون أنه حاضر في الأمصار، يعلم أحوال الناس، لكنه غائب عن الأبصار فلا يُرى.

وكلامهم هذا حُمقٌ لم يَقم عليه دليل ولا برهان ولا عقل ولا نظر، وهو مخالف لسنة الله في البشر؛

فأنبياء الله ورسله الذين هم أفضل الخلق عند الله، توفاهم الله، فكيف يتوفى الله أنبياءه ورسله، ويُبقى

مهدي الرافضة حياً منذ ألف سنة كما زعموا؟!!

ثم ما الداعي لغيبته واختفائه طوال هذه المدة وهو حيٌّ؟ لماذا لم يخرج، ويأمر بالمعروف، وينهى عن

المنكر، وواقع اليوم أحوج ما يكون له؟!!

قال ابن كثير -رحمه الله- متحدثاً عن المهدي " محمد بن عبد الله" الوارد ذكره في

الأحاديث:

" ويكون ظهوره من بلاد المشرق - يعني مهدي أهل السنة - لا من سرداب سامراء، كما يزعمه جهلة

الرافضة من أنه موجود فيه الآن، وهم ينتظرون خروجه في آخر الزمان، فإن هذا نوع من الهذيان،

وقسط كبير من الخذلان الشديد من الشيطان، إذ لا دليل على ذلك ولا برهان، لا من كتاب ولا سنة ولا

معقول صحيح ولا استحسان". (النهاية في الفتن والملاحم: ص ١٧).

٢- ادعى عبد الله بن سبأ أن علي بن أبي طالب عليه السلام هو المهدي المنتظر، وزعم أنه سيعود إلى الدنيا.

٣- ادعى المختار بن عبيد الثقفي أن محمد ابن الحنفية، المتوفى عام (٨١هـ)، هو المهدي المنتظر،

ومحمد ابن الحنفية هو محمد بن علي بن أبي طالب عليه السلام وسُمِّي ابن الحنفية نسبة إلى أمه خولة بنت

جعفر التي هي من قبيلة بني حنيفة.

٤- مهدي الفرقة المدعوة بالكيسانية، وهم أتباع كيسان مولى علي بن أبي طالب عليه السلام وهي فرقة شيعية، يزعمون أن المهدي هو " محمد بن الحنفية " ، وأنه حيٌّ مقيم بجبل رضوى، وأنه بين أسدين يحفظانه، وعنده عينان نضاختان تجريان بماء وعسل، فزعموا أنه دخل هذا الجبل أربعون من أصحابه، ولم يوقف لهم على خبر، قالوا: وهم أحياء يرزقون، ويقولون: إنه يعود بعد الغيبة، ويملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، قالوا: وإنما عوقب بهذا الحبس لخروجه إلى عبد الملك بن مروان، وقيل: إلى يزيد بن معاوية، وإلى هذا الاعتقاد أشار كثير عزة بقوله:

وسبط لا يذوق الموت حتى يقود الخيل يقدمها اللواء
تغيب لا يرى فيهم زماناً برضوى عنده عسل وماء

وكان السيد الحميري على هذا المذهب، وهو القائل:

ألا قل للإمام فدتك نفسي أطلت بذلك الجبل المقاما

(لوامع الأنوار البهية للسفاريني: ٨٥/٢).

فما أصغر عقول هؤلاء، وما أقل فهمهم، يصدقون ما لم يقم عليه دليل من عقل ولا نقل.

٥- محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب (كنيته ذو النفس الزكية، تُوِّفِيَ عام ١٤٥هـ)، وكان صَوَّامًا قَوَّامًا، وفي عصره فتن به بعض الناس، وظنُّوا أنه المهدي، وكان له حركة وأتباع، حاول تصحيح الأوضاع؛ فقاتله العباسيون الذين كانوا هم الحكام في عصره في جيش قوامه (١٠٠٠٠) مقاتل، وقضوا على حركته، وقد كان خروج ذي النفس الزكية على المنصور الخليفة العباسي، وكان قد انتشر الظلم والجور في عصره.

٦- وممن ادَّعى المهدية: عبيد الله بن ميمون القداح، المولود عام (٢٥٩هـ) وتُوِّفِيَ في سنة (٣٢٥هـ)، كان جده يهودياً، وهو رأس القرامطة الذين قتلوا المسلمين، وسرقوا الحجر الأسود عام (٣١٧هـ)، وهم أشد كفرة من اليهود والنصارى، صار لأبنائه صولة وجولة وحكم، وسيطروا على مصر والحجاز والشام، انتسبوا إلى آل البيت كذباً وزوراً، فزعموا أنهم من نسل فاطمة -رضي الله عنها-؛ لذا سُمُّوا أيضاً بالفاطميين. وأزالوا القضاء الشافعي، وأقاموا القبور والأضرحة، ووقع بهم على المسلمين بلية عظيمة، فالقرامطة يُظْهِرون الإسلام وهم ملاحدة في حقيقتهم، خارجون عن جميع الملل، ومذهبهم مركب من مذهب المجوس عبَّاد النار والصَّابئة عبَّاد الكواكب.

قال ابن كثير-رحمه الله-: "وكانت مدة ملك الفاطميين أكثر من ٢٨٠ سنة، وعبيد الله القداح ادَّعى

أنه المهدي وبني مدينة المهدية". (البداية والنهاية: ٣٣١/١٢)

ولم يزل أمرهم إلى أن أنقذ الله الأمة منهم بصلاح الدين الأيوبي، فاستنقذ الأمة منهم وأبادهم.

٧- وممن ادّعى المهديّة: محمد بن عبد الله البربري المشهور بـ(ابن تومرت)^(١) ظهر عام (٥١٤هـ) وتوفي سنة (٥٢٤هـ) ادّعى أنه علوي من نسل علي بن أبي طالب ﷺ واخترع نسباً إلى الحسن بن علي. وقد ملك بالظلم والتسلط، وكان له عدد من الحيل يخدع بها الناس ويظهر أن له كرامات، ومن حيله: أنه أخفى رجالاً في قبور، وجاء في جماعة ليريهام آية، فصاح: أيها الموتى أجيئوا، فأجابوه: أنت المهدي المعصوم، وأنت وأنت، ثم إنه خاف من انتشار الحيلة، فحسف فوقهم القبور فماتوا.
(انظر المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن القيم ص ١٥٣)

٨- وممن ادّعى المهديّة: محمد أحمد بن عبد الله السوداني المتوفى سنة (١٣٠٢هـ - ١٨٨٥م)، الصوفي المتغلب على السودان، واشتهر بالزهد، وادّعى المهديّة وعمره ٣٨ سنة، أقبل عليه الزعماء وشيوخ القبائل، وزعم أن من شك في مهديته فقد كفر بالله ورسوله... إلى غير ذلك من دعاويه الفارغة، وهو وإن كانت له يد بيضاء في محاربة نصارى الإنجليز، فقد أظهر الواقع أنه ليس (المهدي الموعود في الأحاديث) وإنما هو مدّع من جملة المدعين.

٩- وممن ادّعى أنه المهدي: محمد بن عبد الله القحطاني، ظهر في الرياض، بالمملكة العربية السعودية، ذكر أنه رأى رؤيا مفادها أنه (المهدي) المنتظر، فبايعه جماعة وتحصنوا في المسجد الحرام سنة (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م)، فكان ما هو معروف بـ (فتنة الحرم) التي انتهت بمقتله.
(نهاية العالم للشيخ العريفي - حفظه الله-).

قاعدة:

من ادّعى أنه المهدي ولم تنطبق عليه الصفات، ولم يخرج عيسى في زمانه، فهو دجال كذاب.
ومن ادّعى أنه عيسى عليه السلام ولم تنطبق عليه الصفات، ولم يخرج الدّجال قبله فهو مدّع كذاب.

وقال الشيخ حمود بن عبد الله التويجري -رحمه الله-:

" من ادّعى من المفتونين أنه المهدي المنتظر، ولم يخرج الدّجال في زمانه، فإنه دجال كذاب، وكذلك من ادّعى أنه المسيح عيسى ابن مريم، ولم يكن الدّجال قد خرج قبله، فإنه دجال كذاب، وللمسيح ابن مريم علامتان لا تكونان لغيره من الناس، إحداهما: أنه يقتل الدّجال كما تواترت بذلك الأحاديث، والثانية: " **أنه لا يحل لكافر يجد نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه** " .

(مسلم)

وفي هاتين العلامتين قطع لأطماع كل دجال يدّعي أنه المسيح ابن مريم". اهـ.

(إقامة البرهان في الرد على من أنكر المهدي والدّجال).

(١) مهدي المغاربة ولد سنة (٥٤٨٥هـ).

إنكار بعض أهل العلم لحقيقة المهدي:

وعلى النقيض والعكس نجد أن بعض أهل العلم ينكرون حقيقة المهدي، ويقولون: إنها خرافة وليست بحقيقة، ومن هؤلاء: -

قال محمد رشيد رضا: "وأما التعارض في أحاديث المهدي فهو أقوى وأظهر، والجمع بين الروايات فيه أعسر، والمنكرون لها أكثر، والشبهة فيها أظهر، ولذلك لم يعتد الشيخان البخاري ومسلم بروايتها في "صحيحهما"، وقد ضعف كثير من أئمة المسلمين أحاديث المهدي". (تفسير المنار: ٤١٦/٩).

قال أحمد أمين: "حديث المهدي هذا حديث خرافة، وقد ترتب عليه نتائج خطيرة في حياة المسلمين". (ضحى الإسلام: ٢٤٣/٢).

قال عبد الله بن زيد آل محمود: "ودعوى المهدي في مبدئها ومنتهاها مبنية على الكذب الصريح، والاعتقاد السيئ القبيح، وهي في الأصل حديث خرافة يتلقفها واحد عن آخر، وقد صيغت لها الأحاديث المكذوبة سياسة للإرهاب والتخويف". (في رسالته: لا مهدي ينتظر بعد الرسول خير البشر: ص ٥٨).

قال محمد فريد وجدي: "ما ورد في المهدي المنتظر من أحاديث، الناظرون فيها من أولي البصائر لا يجدون في صدورهم حرجاً من تنزيه رسول الله ﷺ من قولها، فإن فيها من الغلو والخبط في التواريخ والإغراق في المبالغة، والجهل بأمور الناس، والبعد عن سنن الله المعروفة، ما يشعر المطالع لأول وهلة أنها أحاديث موضوعة تعمّد وضعها رجال من أهل الزيغ المشايعين لبعض أهل الدعوة من طلبة الخلافة في بلاد العرب أو المغرب". (دائرة معارف القرن العشرين: ٤٨١/١٠).

تنبيه:

ينسب لهؤلاء ابن خلدون فقد قيل عنه: إنه تردّد في مسألة المهدي وضعف الأحاديث الواردة فيه، لكن هذا الكلام بعيد (كما مر بنا)، فمع كون ابن خلدون -رحمه الله- ضعف أكثر الأحاديث الدالة على وجود المهدي - وهو غير محق في هذا - إلا أنه صحّح بعض هذه الأحاديث، وهذا معناه أنه لا ينكر وجود المهدي.

فقد قال ابن خلدون في "مقدمته" (ص ٥٧٤) بعد سياقه للأحاديث ومناقشته له:

"وهي كما رأيت لم يخلص منها من النقد إلا القليل أو الأقل منه".

وبذلك على هذا أيضاً أنه قال في "مقدمته" (ص ٥٥٥): "اعلم أن المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممر الإعصار، أنه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت، يؤيد الدين، ويظهر العدل، ويتبعه المسلمون، ويستولى على الممالك الإسلامية، ويسمى بالمهدي، ويكون خروج الدجال وما بعده من أشراط الساعة الثابتة في الصحيح على أثره، وأن عيسى ينزل من بعده فيقتل الدجال، أو ينزل معه فيساعده على قتله، ويأتّم بالمهدي في صلاته. اهـ.

شبهات المكذبين لأحاديث المهدي^(١)

ولقد سلك المكذبون لأحاديث المهدي مسالك شتى، وأوردوا الشبهات التي توافق مذهبهم؛ وسأذكر بعضها مصحوباً بالرد عليها - بإذن الله -:

الشبهة الأولى:

وهي قولهم: "التصديق بخروج المهدي من القضايا النظرية في الدين التي لا يترتب عليها عمل، وما يفيدني في ديني إذا صدقت به؟ وماذا يضيرني إن كذبت به؟".

والجواب على ذلك في النقاط الآتية:

أولاً: لابد أن نعلم أن هذه الأمور العلمية الخبرية التي أخبر بها الوحي يلزم تصديقها واعتقادها؛ لأنها أصل الدين وجوهر التوحيد.

ثانياً: أن الإيمان بهذه القضايا من مستلزمات الشهادة بأن محمداً ﷺ رسول الله، والتي تقتضي: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع.

ثالثاً: أن التصديق بها من مستلزمات الإيمان باليوم الآخر، لأن (أشراط الساعة) التي منها خروج المهدي من مقدمات اليوم الآخر.

رابعاً: أن التصديق بخروج المهدي داخل في الإيمان بالقدر.

خامساً: أن الإيمان بأشراط الساعة من مقتضيات الإيمان بالغيب، وعليه فمن الإيمان بالغيب: الإيمان بما أخبر به النبي ﷺ عن المهدي الذي يخرج في آخر الزمان.

(١) بتصريف من كتاب "المهدي" و"فقه أشراط الساعة" للشيخ محمد إسماعيل المقدم - حفظه الله.

الشبهة الثانية:

إذا كانت القيامة تقوم بعد زمن المهدي وعيسى وهو خير زمان، ودين الإسلام انتشر في كل مكان،
فما معنى قوله ﷺ: "بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ".
وقد سئل الشيخ عبد الله ابن الصديق هذا السؤال:

فأجاب: "تواتر عن النبي ﷺ أنه قال: **"بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ"**، وهو يشير إلى وقتنا هذا؛ فإن الإسلام فيه غريب بمعنى الكلمة، وسيظل كذلك، بل ستزداد غيبته إلى أن يأتي المهدي فيظهر الإسلام، ويحيي العدل، وتزول الفتن والمحن بين المسلمين، ويبقى الحال كذلك مدة المهدي ومدة عيسى - عليهما السلام -، ثم بعد ذلك تأتي ريح طيبة تأخذ نفس كل مؤمن، فلا يبقى على الأرض من يعرف الله أو يذكره، وإنما يبقى أقوام يتهارجون كما تتهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة كما جاء في "صحيح مسلم" ... وغيره. والله أعلم ". (المهدي المنتظر: ص ٥١، ٥٢).

الشبهة الثالثة:

وهي قولهم: "كيف يملأ المهدي الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً في سبع سنين فقط، وهذا رسول الله ﷺ مكث ثلاثاً وعشرين سنة، يجاهد ويدعو إلى الله، وما ملأ الأرض كلها عدلاً؟".
والجواب على ذلك في النقاط الآتية:

أولاً: أن الله تعالى قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

[الحجرات: ١]

وقال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤، ٣].

وكل ما ثبت عن النبي ﷺ أنه أخبر به، فالواجب تصديقه، وألا يجد المسلم في نفسه حرجاً مما أخبر به رسول الله ﷺ، وألا يعارض خبره، بكيف؟ ولم؟ وهل؟ فإن هذا عنوان فساد العقيدة.
ثانياً: أن الله ﷻ إذا أراد أمراً هياً أسبابه، ويسر الوصول إليه، وهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ قد ملأ الأرض قسطاً وعدلاً في عشر سنين، وقد كانت قبل انتشار الإسلام في خلافته قد ملئت ظلماً وجوراً، وهذا عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- قد ملأ الأرض قسطاً وعدلاً في سنتين وخمسة أشهر، وخبر الصادق المصدوق ﷺ واقع لا محالة، ولا يستبعد وقوعه إلا من يشك في عموم قدرة الرب ﷻ، ونفوذ مشيئته.

ثالثاً: أن المهدي سيهيئه الله ويعدّه لتجديد الدين، بأن يصلحه في ليلة، ثم يؤيده الله تعالى بكرامة خارقة للعادة، وهي أن يخسف بالجيش الذي يقصده حينما يعوذ بالبيت الحرام.

رابعاً: ومن المعلوم أن ثمار دعوة الأنبياء وآثارها في العالمين أحد أعلام نبوتهم، وكل ما وقع في هذه الأرض من آثار نبوة رسول الله ﷺ، فما وقع من الخلفاء الراشدين، وما سيقع بإذن الله من المهدي، إنما هو أثر من آثار نبوة رسول الله ﷺ، وثمرة من ثمرات بعثته المباركة، وقبس من مشكاة نبوته ﷺ.

الشبهة الرابعة:

وهي قولهم: "إن القرآن لم يذكر المهدي، ولو كان ثابتاً لذكره الله في القرآن".
والجواب: أن القرآن لم يذكر جميع أشراط الساعة، فلم يذكر الدَّجَال ولا الخسوف الواقعة آخر الزمان... إلى غير ذلك، وإنما ذكرت هذه في السنة، فما دام أنها ثبتت في السنة، فقد قال الله ﷻ عن نبيه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النجم: ٣]. وقال ﷺ: "ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه". (البخاري)
فما دام ذكرها ﷺ وأثبتها؛ فهي من الدين الثابت.

الشبهة الخامسة:

ومن أخطر الشبهات التي اعتمد عليها كل من أنكر وجود المهدي: أن أحاديث المهدي لم تثبت في "الصحيحين" - أي في البخاري ومسلم - وأن تلك الأحاديث قد تسرَّب إليها كثير من الإسرائيليات.
والرد على هذه الشبهة نقول:

وأما دعوى أن الشيخين لم يعتدَّا بشيء من الأحاديث في المهدي؛ **فنقول:** "إن السنة كلها لم تُدَوَّن في الصحيحين فقط، بل ورد في غيرهما أحاديث كثيرة صحيحة في السنن والمسانيد والمعاجم... وغيرها من دواوين الحديث.

قال ابن كثير - رحمه الله - كما في "الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث (ص ٢٥):
"إن البخاري ومسلماً لم يلتزما بإخراج جميع ما يُحكم بصحته من الأحاديث، فإنهما قد صححا أحاديث ليست في كتابيهما؛ كما ينقل الترمذي وغيره عن البخاري تصحيح أحاديث ليست عنده، بل في السنن وغيرها". اهـ.

وأما كون الأحاديث قد دخلها كثير من الإسرائيليات، وأن بعضها من وضع الشيعة وغيرهم من أهل العصبية؛ فهذا صحيح، ولكن أئمة الحديث قد بيَّنوا الصحيح من غيره، وصنَّفوا الكتب في الموضوعات، وبيان الروايات الضعيفة، ووضعوا قواعد دقيقة في الحكم على الرجال، حتى لم يبق صاحب بدعة أو كذب إلا وأظهروا أمره، فحفظ الله السُّنة من عبث العابثين، وتحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وهذا من حفظ الله لهذا الدين. (أشراط الساعة يوسف الوابل: ص ٢٧٠).

الشبهة السادسة:

أن إثبات خروج المهدي يفتح الباب لمُدَّعي المهديّة.
والجواب: إننا إذا ضبطنا الأمر بالضوابط الشرعية لم يفتح الباب، فالمهدي له صفات خلقية ولزمه ظروف محددة - تقدّم ذكرها - لا تنطبق إلا على رجل واحد، هو المهدي الحقيقي.

الشبهة السابعة:

وهي قولهم: "الاعتقاد في خروج المهدي خرافة، تسربت إلى أهل السنة من طريق المؤانسة، والمجالسة، والاختلاط بالشيعة، دون أن يكون لها أصل في عقيدتهم".

والجواب على ذلك في النقاط التالية:

أولاً: أن أحاديث المهدي مدونة في كتب السنة الشريفة بأسانيد تنتهي إلى رسول الله ﷺ عن طريق صحابته الكرام رضي الله عنهم، أما أحاديث الشيعة، فهي تنتهي إلى أئمتهم المعصومين في زعمهم، وما صح من الأحاديث الواردة في المهدي عن رسول الله ﷺ لا علاقة له بالشيعة، ولم ينقل عن الشيعة. ثم إن المهدي عند الشيعة، هو " محمد بن الحسن العسكري " صاحب السرداب، أما المهدي عند أهل السنة فهو " محمد بن عبد الله ".

فعقيدة أهل السنة في المهدي في واد، وعقيدة الشيعة في مهديهم في واد آخر.

ثانياً: أنه لا يجوز أن ندع حقاً لباطل؛ فكون الرافضة كذبوا في ادعاء المهديّة لإمامهم الوهمي؛ لا يسوغ لنا لا عقلاً، ولا نقلاً أن نرفض الأدلة الصحيحة من سنّته ﷺ التي تؤكد أن المهدي حقيقة لا خرافة.

ثالثاً: أن دعوى اقتباس السنة التصديق بخروج المهدي من الرافضة لا تستند إلى دليل إلا الظن.

رابعاً: قد تقدّم بيان صفة المهدي وأحواله في اعتقاد أهل السنة، يبقى أن نتعرف على اعتقاد الشيعة في مهديهم المزعوم.

فهو في اعتقادهم آخر الأئمة الاثني عشر المنصوص عليهم.

قال الإمام المحقق ابن قيم الجوزية -رحمه الله- في شأن ذلك المعلوم، الموجود في خيالاتهم الفاسدة: "إنه الحاضر في الأمصار، الغائب عن الأبصار، الذي ورث العصا، وبختم الفضاء، دخل سرداب سامرا طفلاً صغيراً، من أكثر من خمس مائة سنة، فلم تره بعد ذلك عين، ولم يحس فيه بخبر، ولا أمر، وهم ينتظرونه كل يوم يقفون بالخيال على باب السرداب، ويصيحون به أن يخرج إليهم:" اخرج يا مولانا" ، ثم يرجعون بالخيبة والحرمان، فهذا دأبهم ودأبه، ثم قال: "ولقد أصبح هؤلاء عاراً على بني آدم، وضحكة يسخر منهم كل عاقل". اهـ. (المنار المنيف: ١٥٢)

ما آن للسرداب أن يلد الذي كَلَّمْتُمُوهُ بجهلكم ما آنا
فعلى عقولكم العفاء فإنكم ثلثتم العنقاء^(١) والغيلانا

(الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي: ١٦٨).

فإذا كان الفرق بين المهدي عند الشيعة، والمهدي عند السنة كالفرق بين الثرى والثريا، فكيف يسوغ لنفس أن تسوى بين الحق والباطل؟ ما لكم كيف تحكمون؟!

الشبهة الثامنة:

وهي قولهم: "إن الاعتقاد في خروج المهدي يترتب عليه من المضار، والمفاسد، والفتن، ما يشهد به التاريخ، والواقع، أما اعتقاد بطلانه، وعدم التصديق به، فإنه يجلب الراحة والأمان، والسلامة من الزعازع والفتن".

والجواب على ذلك في النقاط التالية:

أولاً: أن الواجب تصديق رسول الله ﷺ فيما يخبر به من أمور الغيب، سواء كانت ماضية أو مستقبلية، موجودة أو غائبة عنا، والذين حكموا بصحة أحاديث المهدي هم العلماء الجهابذة، والنقاد المحققون من أهل الحديث، فلم يبقَ عذر لمن دونهم في أن يرد بجهلهم حكمهم، وينازع الأمر أهله.

ثانياً: أن أهل السنة والجماعة يعتقدون أن المهدي يقيم القسط، ويبسط العدل، ويرفع الجور، ويزيل الظلم، أما الفتن والزعازع، فإنما تكون من الدجالين الكذابين، الذين يدعون المهدية.

ثالثاً: أن المضار والمفاسد تترتب - أيضاً - على التكذيب بالأحاديث الصحيحة؛ مما ينافي الإيمان،

قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

وقال الإمام أحمد -رحمه الله-: "مَنْ رَدَّ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ فهو على شفا هلكة".

(١) العنقاء: طائر وهمي لا وجود له إلا في تصور الإنسان وخياله.

رابعاً: أن إنكار خروج المهدي في آخر الزمان ليس هو الذي يمنع من وقوع الفتن، ويحصل به الأمن والاطمئنان، بدليل أن الله تعالى قال في كتابه العزيز: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ

وَحَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وقال ﷺ: "وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي"، ومع ذلك وجد كثيرون ممن ادعوا النبوة، وحصل بذلك للمسلمين أضرار كبيرة؛ فقد قاتل المسلمون المتنبئين على دعواهم النبوة، وأراقوا دماءهم، كما وقع مع مسيلمة الكذاب، والأسود العنسي، وطليحة الأسدي، وسجاح، والمختار بن أبي عبيد، وغيرهم من الكذابين الدجالين، الذين كانت لهم شوكة وأتباع. أما الأسباب الحقيقية للنجاة من الفتن، فتكمن في التمسك بكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ والاعتصام بحبله.

خامساً: أما زعمهم أن التكذيب بأحاديث المهدي يجلب الراحة والأمان، والسلامة من الزعازع والفتن، فجوابه: أن العكس هو الصحيح، فإن الذي يجلب ذلك كله هو الإيمان بكل ما جاء عن الله تعالى، وكل ما ثبت عن رسوله ﷺ والتترؤه من الشكوك والأوهام في أنباء الغيب مما كان، وما سيكون.

الشبهة التاسعة:

لما عجزوا عن إنكار صحة الأحاديث التي وردت بشأن المهدي قالوا: "نعم، صحت الأحاديث في إثبات حقيقة المهدي، ولكننا نؤولها بأن المهدي: رمز للخير، والهدى، والصلاح.

والجواب: أن القائلين بهذا التأويل الفاسد هم في الحقيقة مُكذِّبون لا مثبتون، فمثل هذه الصورة من التأويل الفاسدة تؤام التكذيب، ورد الحديث.

ناهيك عن الأضرار، والفتن، والمفاسد، التي قد تنشأ عن مثل هذا التأويل، حيث يكثر مدعو المهديّة؛ ممن يرى في نفسه الخير، والهدى، والصلاح، أو يرى الناس فيه ذلك.

وإذا كانت أحاديث المهدي الحقيقي قد أُسْتُغْلَتْ أسوأ الاستغلال من مدّعي المهديّة، مع أن محورها شخص معين، له صفات محصورة، فماذا نتوقع أن يحصل إذا عمّنا صفة المهدي بأنه كل خير، ومهتدٍ، ومصلح؟.

٢٦- الملحمة الكبرى بين المسلمين والروم:

ومن علامات الساعة وقوع حرب كبرى بين المسلمين والروم، سماها النبي ﷺ الملحمة الكبرى، حيث ينتصر فيها المسلمون، ثم يتوجهون إلى فتح القسطنطينية فيفتحونها، ثم يظهر الدجال.

فقد أخرج أبو داود والترمذي عن معاذ بن جبل ؓ أن رسول الله ﷺ قال:

" عمران بيت المقدس: خراب يثرب، وخراب يثرب: خروج الملحمة^(١)، وخروج الملحمة: فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية: خروج الدجال ". (حسنه الألباني في صحيح أبي داود).

• بداية الملحمة:

وتكون هدنة بين المسلمين وبين بني الأصفر، ثم يغدرون فتبدأ الملحمة.

أخرج البخاري عن عوف بن مالك ؓ قال: أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك - وهو في قبة من آدم- فقال: " أعددت ستاً^(٢) بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم مؤتان^(٣) يأخذ فيكم كقصاص الغنم^(٤)، ثم استفاضة المال^(٥) حتى يُعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة^(٦) تكون بينكم وبين بني الأصفر^(٧) فيأتونكم تحت ثمانين غاية^(٨) تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً ".

(١) الملحمة: الحرب ذات القتال الشديد، والجمع: ملاحم، مأخوذ من اشتباك الناس واختلاطهم فيها كاشتباك لحمة الثوب بالثدي، وقيل: هي مأخوذة من اللحم فيقال: ألحمت القوم " أي قتلهم حتى صاروا لحمًا.

فائدة: وفي قولهم: " نبي الملحمة " قولان: أحدهما: نبي القتال، وهو كقوله في الحديث الآخر: " بعثت بالسيف " والثاني: نبي الصلاح وتأليف الناس، كان يؤلف أمر الأمة.

(٢) قال الحافظ في " الفتح " (٢٧٨/٦): " أي: ست علامات لقيام الساعة، أو لظهور أشراتها المقترية منها ".

(٣) قال الحافظ: " ثم " مؤتان " بضم الميم وسكون الواو، قال القزاز: هو الموت، وقال غيره: " الموت الكثير الوقوع، وقال ابن الجوزي: " يغلط بعض المحدثين فيقول: " مؤتان " بفتح الميم والواو، وإنما ذاك اسم الأرض التي لم تحيا بالزرع والإصلاح، ثم قال الحافظ: " تنبيه: في رواية ابن السكن: " ثم مؤتتان " بلفظ التنبيه، وحينئذ فهو بفتح الميم.

(٤) قوله " كقصاص الغنم " : بضم العين المهمله وتخفيف القاف وآخره مهمله، هو داء يأخذ الدواب، فيسيل من أنوفها شيء فتموت فجأة.

ويقال: " إن هذه الآية ظهرت في طاعون عمواس في خلافة عمر، وكان ذلك بعد فتح بيت المقدس ".

(٥) قال الحافظ - رحمه الله-: " قوله: ثم استفاضة المال " أي: كثرته؛ وظهرت في خلافة عثمان عند تلك الفتوح العظيمة، والفتنة المشار إليها افتتحت بقتل عثمان واستمرت الفتن بعده، والسادسة لم تحي بعد ".

(٦) الهدنة: الصلح الذي ينعقد بين الكفار والمسلمين، وهو في الأصل السكون، كأنهم سكنوا عن القتال، وقد يكون بين كل طائفتين افتتلتا إذا تركتا القتال عن صلح، وهادئته: يعني صالحه، ومنه قولهم: " هدنة على دخن " أي: سكون غل، وأصل الدخن أن يكون في لون الدابة كدورة إلى سواد.

(٧) بنو الأصفر: هم الروم، نسبوا إلى الأصفر بن عيصو.

(٨) قال الحافظ في " الفتح " : قوله: " غاية " : أي راية، وسميت بذلك لأنها غاية المتبع إذا وقفت وقف، ووقع في حديث عند أبي داود في نحو هذا الحديث بلفظ " راية " بدل " غاية "، ثم قال: قال ابن الجوزي: " رواه بعضهم: " غاية " بموحدة بدل التثنية، و " الغاية " : الأجمة، كأنه شبه كثرة الرماح بالأجمة. وقال الخطابي: الغاية: الغيضة، فاستعيرت للرايات ترفع لرؤساء الجيش لما يشرع معها من الرماح، وجملة العدد المشار إليه تسعمائة ألف وستون ألفاً. وقال ابن المنير: " أما قصة الروم: فلم تجتمع إلى الآن، ولا بلغنا أنهم في البر في هذا العدد، فهي من الأمور التي لم تقع بعد، وفيه بشارة ونذارة، وذلك أنه دل على: أن العقاب للمؤمنين مع كثرة ذلك الجيش، وفيه إشارة إلى أن عدد جيوش المسلمين سيكون أضعاف ما هو عليه. اهـ ملخصاً.

وفي لفظ آخر عند ابن ماجه بسند صحيح عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال:

" أتيت رسول الله ﷺ: وهو في غزوة تبوك، وهو في خباءٍ من آدم، فجلست بفناء الخباء، فقال رسول الله ﷺ: ادخل يا عوف، فقلت: بكُلِّي^(١) يا رسول الله؟ قال: بكُلِّك، ثم قال: يا عوف، احفظ خِلالاً ستاً بين يدي الساعة، إحداهن: موتي، قال: فوجمتُ^(٢) عندها وجمة شديدة، فقال: قل: إحدى، ثم فتح بيت المقدس، ثم داء يظهر فيكم يستشهد الله به ذراريكم وأنفسكم ويزكي به أعمالكم، ثم تكون الأموال فيكم حتى يُعطى الرجلُ مائة دينار فيظل ساخطاً، وفتنة تكون بينكم لا يبقى بيت مسلم إلا دخلته، ثم تكون بينكم وبين بني الأصفر هدنة، فيغدرون بكم، فيسيرون إليكم في ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً^(٣)."

وأخرج أبو داود عن ذي مخبرٍ رجل من أصحاب النبي ﷺ وقد سأله جبير بن نفير عن الهدنة، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "سَتُصَالِحُونَ الرُّومَ صلحاً آمناً، فَتَغْزُونَ أَنْتُمْ وَهُمْ عَدُوًّا مِنْ وَرَائِكُمْ، فَتَنْصَرُونَ، وَتَغْنَمُونَ، وَتَسَلِّمُونَ، ثُمَّ تَرْجِعُونَ حَتَّى تَنْزِلُوا بِمَرْجٍ^(٤) ذِي ثُلُولٍ^(٥)، فِيرْفَعُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ النَّصْرَانِيَةِ الصَّلِيبَ فيقول: غَلَبَ الصَّلِيبُ^(٦)". فيغضب رجلٌ من المسلمين فيدقُّه^(٧)، فعند ذلك تَغْدِرُ الرُّومُ وَتَجْمَعُ لِلْمَلْحَمَةِ."

(١) "بكُلِّي" أي: بكل جسمي أو ببعضه، وذلك فيما يبدو لضيق الخباء، والله أعلم.

(٢) "الواجم": الذي حزن حزناً أسكنه.

(٣) وعلى هذا يكون حشد الروم قرابة مليون جندي (٨٠ × ١٢٠٠٠ = ٩٦٠٠٠٠)، وفي رواية عند أحمد: "فيأتونكم في ثمانين غاية، مع كل غاية عشرة آلاف"

(٤) في "اللسان": المرج: الفضاء، وقيل: أرض ذات كلالٍ ترعى فيها الدواب. وفي "التهذيب": أرض واسعة فيها نبت كثير، تمرح فيها الدواب.

(٥) ثُلُول: جمع "تل"، وهو: الموضع المرتفع.

(٦) يقصد: أن دين النصراني قد غلب.

(٧) فيدقُّه: عائدة على الصليب، أي يكسره، وفي رواية: "فيقتله" وهي عائدة على من يحمل الصليب.

تنبيهان:

١- لم تحدد الروايات الصحيحة هذا العدو الذي يقاتله المسلمون والروم، غير أن نعيم بن حماد روى أثرًا ضعيفًا وفيه: "تصالحون الروم صلحًا آمنًا، حتى تغزوا أنتم وهم الترك وكرمان فيفتح الله لكم، فتقول الروم: غلب الصليب، فيغضب المسلمون، فينحازون وينحازون، فيقتتلون قتالًا شديدًا عند مرج ذي تلؤل، ثم يفتح الله لكم عليهم، ثم تكون الملاحم بعد ذلك".

٢- جاءت بعض الروايات تُبين أين سينزل جيش المسلمين.

فقد أخرج أبو داود عن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال: "إن فسطاط^(١) المسلمين يوم الملحمة بالغوطة إلى جانب مدينة يقال لها: دمشق^(٢)، من خير مدائن الشام".

وفي رواية أخرى قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "يوم الملحمة الكبرى فسطاط المسلمين بأرض يقال لها: الغوطة، فيها مدينة يقال لها: دمشق، خير منازل المسلمين يومئذ".

وأخرج الإمام مسلم عن يسير بن جابر قال: "هاجت ريح حمراء بالكوفة، فجاء رجل ليس له هجيرى^(٣): ألا يا عبد الله بن مسعود جاءت الساعة، قال: فقعد - وكان متكئًا - فقال^(٤): إن الساعة لا تقوم حتى لا يُقسَم ميراثٌ، ولا يُفرح بغنيمةٍ، ثم قال بيده هكذا - ونحّاهما نحو الشام - فقال: عدّو يجمعون لأهل الإسلام^(٥)، ويجمع لهم أهل الإسلام، قلت: الروم تعني؟ قال: نعم، وتكون عند ذاكم القتال ردة شديدة^(٦)، فيشترط المسلمون شرطة^(٧) للموت لا ترجع إلا غالباً؛ فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل، فيفيء^(٨) هؤلاء وهؤلاء كلٌّ غير غالب، وتفنّى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالباً، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل، فيفيء هؤلاء وهؤلاء كلٌّ غير غالب وتفنّى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالباً، فيقتتلون حتى يمسا، فيفيء هؤلاء وهؤلاء

(١) أصل "الفسطاط": الخيمة، ثم استعمل في الحصن والملجأ، أو يقصد به البلدة الجامعة للناس، ومنه سميت مصر: "الفسطاط" وكل مدينة فسطاط.

(٢) قال صاحب "عون المعبود": "دمشق": بكسر الدال المهملة وفتح الميم، وسُمّيت بذلك لأن دمشق بن عمرو بن كنعان هو الذي بناها؛ فسُمّيت باسمه، وكان آمن بإبراهيم عليه السلام وسار معه، وكان أبوه نمرود دفعه إليه لما رأى له من الآيات.

(٣) أي: ليس له كلام، ولا نداء ولا دأب ولا شأن إلا ذلك.

(٤) هذا الكلام موقوف على عبد الله بن مسعود عليه السلام، إلا أنه لا يقال من قبيل الرأي، ثم إن في آخر الحديث ما يُشعر أنه تلقّاه عن رسول الله ﷺ، والله أعلم.

(٥) يجمعون لأهل الإسلام: أي: لقتالهم.

(٦) ردة شديدة: عطفة شديدة.

(٧) الشرطة: أول طائفة من الجيش تشهد الواقعة، أو تتقدّم للقتال، ومنه التشرط: أي: التقدم.

(٨) فيفيء: يرجع.

كل غير غالب، وتنفى الشرطة، فإذا كان يوم الرابع نهد^(١) إليهم بقية أهل الإسلام، فيجعل الله الدبرة^(٢) عليهم، فيقتلون مقتلةً - إمّا قال: "لا يرى مثلها"، وإما قال: "لم ير مثلها" - حتى إن الطائر ليمر بجناباتهم^(٣) فما يخلفهم، حتى يخر ميتاً، فيتعاد بنو الأب كانوا مائة، فلا يجدونه بقي منهم إلا الرجل الواحد، فبأي غنيمة يفرح - أو: أي ميراث يقاسم؟! فبينما هم كذلك إذ سمعوا ببأس هو أكبر من ذلك، فجاءهم الصريخ: إن الدجال قد خلفهم في ذراريهم، فيرفضون ما في أيديهم ويقبلون، فيبعثون عشرة فوارس طليعة، قال رسول الله ﷺ: إني لأعرف أسماءهم وأسماء آبائهم وألوان خيولهم، هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ - أو: من خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ -".

وأخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

" لا تقوم الساعة حتى تنزل الروم بالأعماق^(٤) - أو بدابق^(٥) - فيخرج إليهم جيش من المدينة، من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا، قالت الروم: خلّوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم^(٦)، فيقول المسلمون: لا والله، كيف نخلي بينكم وبين إخواننا؟ فيقاتلونهم، فينهزم ثلث^(٧) لا يتوب الله عليهم أبداً، ويقتل ثلث هم^(٨)، أفضل الشهداء عند الله، ويفتح الثلث^(٩)، لا يفتنون أبداً، فيفتحون قسطنطينية، وبينما هم يقتسمون الغنائم قد علّقوا سيوفهم بالزيتون؛ إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح^(١٠) قد خلفكم في أهليكم^(١١)، فيخرجون^(١٢)، وذلك باطل^(١٣) فإذا جاءوا الشام خرج^(١٤)".

وفي رواية أخرى عند مسلم: " فبينما هم يعدون لقتال الدجال، بعد أن قاتلوا الروم، وما استطاعوا أن يقتسموا الغنائم، ويسوون الصفوف؛ إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابن مريم"

(١) "نهد" أي: نهض وتقدم.

(٢) "الدبرة" أي: الهزيمة.

(٣) "جناباتهم" : يعني: نواحيهم.

(٤) الأعماق: قال ياقوت: جاء بلفظ الجمع، والمراد العمق، وهو ناحية قرب دابق بين حلب وأنطاكية.

(٥) دابق: قرية قرب حلب في بلاد الشام، بينها وبين حلب أربعة فراسخ، وفيها تكون الملحمة.

(٦) وهذا يدل أنه وقعت حروب سابق بين المسلمين والروم، وانتصر المسلمون، وسبوا من الروم، وأسلم السبي وجاهدوا مع المسلمين.

(٧) فينهزم ثلثهم: أي من جيش المسلمين.

(٨) ويقتل ثلث: أي من المسلمين.

(٩) ويفتح الثلث: يعني الثلث الأخير، يفتح البلاد ويغنم.

(١٠) أي: المسيح الدجال.

(١١) أي: يريد إفزاعهم وتخويفهم.

(١٢) أي: يتوجهون إلى الدجال.

(١٣) وذلك باطل: أي: يكون كلام الشيطان هذا باطلاً.

(١٤) أي: المسيح الدجال.

تنبيه:

وفي قول النبي ﷺ: " فيبعثون عشرة فوارس طليعة، إني لأعرف أسماءهم وأسماء آبائهم وألوان خيولهم"، وكذلك قول النبي ﷺ: " وبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم".

فقال بعض أهل العلم: " إن هذا دليل على عودة الناس في آخر الزمان إلى الأسلحة والمركوبات القديمة، وربما يستدل لهذا الرأي بالحديث الذي أخرجه ابن ماجه وفيه:

" سيوقد المسلمون من قسيهم ونشأبهم وأترستهم سبع سنين ". (الصحيح: ١٩٤٠)

وذلك بعد هلاك يأجوج ومأجوج.

لكن هناك من أهل العلم من يقول: " إن في آخر الزمان لا تكون الحرب كما يزعم البعض بالسيوف والخيول، لكن ذكر الخيل والسيوف والنشاب والرماح في أحاديث أخر رمز للمعدات الحربية أيًا كان نوعها، لأن النبي ﷺ كان يخاطب أهل زمانه على قدر عقولهم وعلمهم.

وربما يستدل لهذا الرأي بالحديث الذي أخرجه الإمام مسلم عن عائشة -رضي الله عنها-

عن النبي ﷺ قال: " أَسْرَعُنَّ لِحَاقًا بِي أَطُولَنَّ يَدًا، قَالَتْ: فَكَنَّ يَنْطَاوِلُنَّ أَيْتَهُنَّ أَطُولُ يَدًا".

وكانت سودة أطولهن جارحة، لكن كانت أول من ماتت هي زينب، فعلموا المراد بعد حصوله، وأن المقصود " أطولهن يدًا" في الصدقة وفعل الخير، لذلك قالت عائشة -رضي الله عنها-:

" فكانت أطولنا يدًا زينب، لأنها كانت تعمل بيدها وتصدق ".

وأخيراً... وفي نهاية الأمر ينتصر المسلمون بإذن رب العالمين.

فقد أخرج الإمام مسلم عن جابر بن سمرة عن نافع بن عتبة قال: " حفظت عن النبي ﷺ

أربع كلمات أعدهن في يدي قال: " تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله، ثم فارس فيفتحها

الله، ثم تغزون الروم فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال فيفتحها الله". قال: فقال نافع: يا

جابر، لا نرى الدجال يخرج حتى تفتح الروم ".

وهل يكون فتح رومية (روما) بعد فتح القسطنطينية، قبل خروج ونزول المسيح عليه السلام أو بعد نزوله؟

لعل كلام نافع عليه السلام لجابر بن سمرة يشير إلى الأول، والله أعلم.

٢٧- فتح القسطنطينية الأخير (إسطنبول):

مر بنا أن القسطنطينية فتحت أول مرة في سنة (٨٥٧هـ، ١٤٥٣م) على يد السلطان العثماني " محمد الثاني، المعروف بالفاتح -رحمه الله- " فحاز بذلك مع جيشه بشارة النبي ﷺ " **لَتُفْتَحَنَّ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ، وَلَنَعْمَ الْأَمِيرُ أَمِيرُهَا، وَلَنَعْمَ الْجَيْشُ ذَلِكَ الْجَيْشُ** " . (رواه أحمد والحاكم من حديث بشر الغنوي ؓ)

وسمّاها محمد الفاتح (إسلام بول) أي مدينة الإسلام، لكن سرعان ما حل الضعف بالمسلمين، خصوصاً بعد الحرب العالمية الأولى، وتداعت على أمة الإسلام جميع الأمم الملحدة، كما تداعى الأكلة على قصعتها، وهذا بسبب أن المسلمين ابتعدوا عن دينهم مصدر عزتهم، وبعد سقوط الخلافة على يد " مصطفى كمال أتاتورك " صنّعة الصهيونية والاستعمار، وتدهورت الأحوال في دولة الخلافة من سيئ إلى أسوأ؛ حتى سقطت في يد الأعداء والمستعمرين، ولكنها ستعود بإذن رب العالمين؛ كذا بشر بهذا الرسول الأمين ﷺ.

وفتح قسطنطينية الأخير على يد المسلمين يكون بلا قتال، وسلاحهم يومئذ التكبير والتهليل فقد أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة ؓ أن النبي ﷺ قال:

" سمعتم بمدينة جانب منها في البر، وجانب منها في البحر^(١)؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحاق، فإذا جاءوها نزلوا، فلم يقاتلوا بسلاح، ولم يرمؤا بسهم؛ قالوا: لا إله إلا الله والله أكبر، فيسقط أحد جانبيها - قال ثور بن يزيد (أحد رواة الحديث): لا أعلمه إلا قال:- الذي في البحر، ثم يقولوا^(٢) الثانية: لا إله إلا الله والله أكبر؛ فيسقط جانبها الآخر، ثم يقولوا: لا إله إلا الله والله أكبر؛ فيفرج لهم، فيدخلوها، فيغنموا، فبينما هم يقتسمون الغنائم، إذ جاءهم الصريخ، فقال: إن الدجال قد خرج، فيتركون كل شيء ويرجعون " .

- وقفة مع قول النبي ﷺ: " لا تقوم الساعة حتى يغزوها - أي القسطنطينية - سبعون ألف من بني إسحاق " فذهب البعض إلى: أن العرب: وهم بنو إسماعيل هم الذين سيفتحون القسطنطينية لا بني إسحاق - يعني الروم.

(١) هي القسطنطينية مدينة بناها الملك قسطنطين، وهي مثلثة الشكل، جانبان منها في البحر، وجانب في البر. يقول الدكتور عمر الأشقر -رحمه الله- في كتاب " القيامة الصغرى " (ص ٢٧٤-٢٧٥): ذهب العلماء إلى: أن هذه المدينة هي القسطنطينية، وإن لم يسمها رسول الله ﷺ، وقد خطر ببالي أن هذه المدينة قد تكون " البندقية " في إيطاليا، فإن جزءاً كبيراً من بيوتها مبني في داخل البحر، وجزء في البر، وقد نظرت إلى المدينتين خلال زيارتي لكل واحدة منهما، فرأيت البندقية أقرب إلى المراد بالحديث، والله أعلم. اهـ

(٢) هكذا الرواية بحذف النون (الفعل مجزوم) عطفاً على: فلم يقاتلوا، ولم يرموا.

ومما يدل على أنه إنما أراد العرب - وهم بنو إسماعيل - ما جاء في حديث ذي مخبر رضي الله عنه أن الروم يقولون لصاحبهم: **"كفيناك حدَّ العرب، ثم يغدرون ويجتمعون للملحمة"**. فدل هذا على أن الملحمة تكون بين العرب وبين الروم.

وظواهر أحاديث هذا الباب تدل على ذلك أيضاً، والذين يباشرون القتال في الملحمة الكبرى هم الذين يفتحون القسطنطينية.

قال النووي - رحمه الله - في شرح مسلم (٧٦٧/٥): **"قال القاضي: كذا هو في جميع أصول**

"صحيح مسلم": "من بني إسحاق" قال: قال بعضهم: المعروف المحفوظ **"من بني إسماعيل"** وهو الذي يدل عليه الحديث وسياقه، لأنه إنما أراد العرب، وهذه المدينة هي القسطنطينية. اهـ.

ويدل على ذلك أيضاً قوله رضي الله عنه في حديث عمرو بن عوف رضي الله عنه: **"ثم يخرج إليهم روفة المسلمين أهل الحجاز"** فدل على أنهم بنو إسماعيل لا بنو إسحاق. والله أعلم.

(انظر إتحاف الجماعة بما جاء في "الفتن والملاحم، وأشراف الساعة" للشيخ حمود التويجري: ٤٠١/١)

لكن هناك فريق من أهل العلم أثبتوا لفظة **"بني إسحاق"** وأن الفتح سيكون على أيديهم فقالوا: **"إن فتح القسطنطينية في المرتين يتم على أيدي المسلمين من غير العرب، ففي المرة الأولى على أيدي العثمانيين، وفي الأخيرة على أيدي العرب، والروم الذين أسلموا، غير أن الروم الذين أسلموا أكثر من العرب. والأدلة على ذلك كثيرة منها: -**

١- ما مر بنا في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم عند اقتتال الروم والمسلمين وفيه:

قالت الروم: "خلُّوا بيننا وبين الذين سبَّوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله، كيف نُخلِّي بينكم وبين إخواننا؟"

وهذا يدل أنه وقعت حروب سابقة بين المسلمين والروم، وانتصر المسلمون، وسبَّوا من الروم، وأسلم السبي وجاهدوا مع المسلمين.

٢- وأخرج الإمام مسلم عن المستورد بن شداد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

"تقوم الساعة والروم أكثر الناس".

٣- وأخرج الإمام مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: أخبرتني أم شريك - رضي الله عنها - أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"ليفرنَّ الناس من الدَّجَال في الجبال، قالت أم شريك: قلت: يا رسول الله! أين العرب يومئذ؟ قال: هم قليل"**.

٤- وأخرج الترمذي عن طلحة بن مالك - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: **"إن من اقتراب الساعة هلاك العرب"**.

فالروم يكونون في آخر الزمان خيراً من أولاد عمهم بني إسرائيل الذين يتبعون الدَّجَال.

٢٨- فتح رومية (روما):

بعد انتصار المسلمين في الملحمة الكبرى، وفتحهم القسطنطينية، يتقدمون نحو " روما " عاصمة إيطاليا اليوم، ومقر الفاتيكان، ومقر بابا الكاثوليك.

فقد أخرج الإمام أحمد والدارمي وابن أبي شيبة عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال: " بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب، إذ سئل رسول الله ﷺ: أي المدينتين تفتح أولاً؟ أفسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول الله ﷺ: مدينة هرقل تفتح أولاً، يعني القسطنطينية ".

إشكال: ظاهر الحديث السابق وأحاديث أخرى لا تخلو من ضعف، تدل على أن المسلمين ينطلقون بعد فتح القسطنطينية إلى روما، لكن قد يعكر على هذا الاستدلال الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم عن أبي هريرة ؓ وفيه: " فيفتحون قسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح الدجال قد خلفكم في أهاليكم، فيخرجون، وذلك باطل، فإذا جاءوا الشام خرج... ". الحديث.

ومعنى هذا: أنهم إذا جاءوا من القسطنطينية إلى بلاد الشام ودخلوا القدس، وعند ذلك يخرج الدجال، ومعنى هذا أنهم لم يفتحوا رومية بعد فتحهم القسطنطينية، وهذا كلام مرجوح، والراجح: أن رومية تفتح بعد القسطنطينية، والذي يشهد لذلك: -

ما رواه مسلم عن نافع بن عتبة أنه قال لجابر بن سمرة ؓ: " لا نرى الدجال يخرج حتى تفتح الروم ".

- وفي رواية ابن عساكر: " وما يجدون خلقاً يحول بينهم وبين القسطنطينية، ولا رومية ". **وقفة:**

عندما ترفع راية الجهاد في زمن المهدي؛ فإنها تظل خفاقة مرفوعة إلى أن يُقتل المسيح الدجال - فقد أخرج أبو داود عن عمران بن حصين ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: " لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم ^(١) حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال ". - وأخرج الإمام مسلم عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: " لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة ". - وأخرج الإمام مسلم أيضاً عن جابر بن سمرة ؓ عن النبي ﷺ قال: " لن يبرح هذا الدين قائماً، يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة ".

(١) " المناوأة ": المعادة، وناوأهم: ناهضهم وعاداهم.

٢٩- غزو الهند:

بعد فتح القسطنطينية ورومية (روما) تمهد الأرض للمهدي، ويدخل في طاعته أكثر الأمم، فيبعث الجيوش إلى الهند وغيرها.

فقد أخرج الإمام أحمد والنسائي بسند صحيح عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "عصابتان من أمتي أحرزهما الله تعالى من النار، عصابة تغزو الهند، وعصابة تكون مع عيسى ابن مريم". (السلسلة الصحيحة: ١٩٣٤).

وهناك حديث آخر أخرجه نعيم بن حماد في "الفتن" عن صفوان بن عمرو عمن حدثه ^(١) عن رسول الله ﷺ قال: "يغزو قوم من أمتي الهند، فيفتح الله عليهم، حتى يلقوا بملوك الهند مغلولين في السلاسل، يغفر الله لهم ذنوبهم، فينصرفون إلى الشام، فيجدون عيسى ابن مريم" ومعنى الحديث السابق - والله أعلم - أن المهدي يرسل تلك الجيوش بعد فتح القسطنطينية ورومية، ثم يظهر الدجال بعد ذلك، وينزل عيسى ابن مريم عليه السلام فيقتله، ويعود بعض هذه الجيوش إلى الشام، فيجدون عيسى عليه السلام.

وهكذا ينتقل المسلمون من انتصار إلى انتصار ومن فتح إلى فتح؛ حتى يملكون مشارقها ومغاربها، وهذا ما أخبر به النبي ﷺ.

ففي "صحيح مسلم" عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها، وأعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض".

وأخرج ابن حبان: "لَيَبْلُغَنَّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ^(٢) ولا وبر ^(٣) إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل الله به الكفر". (السلسلة الصحيحة: ٣).

وأخرج الإمام أحمد وابن حبان والطبراني عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر، ولا وبر، إلا أدخله الله كلمة الإسلام، بعز عزيز، أو ذل ذليل، إما يعزهم الله، فيجعلهم من أهلها، أو يذلهم، فيدينون لها".

(حسن إسناده الألباني في تخريج مشكاة المصابيح (٣٩)).

ففيه إشارة إلى الجزية، وإشارة أخرى إلى أن هذا إنما يكون قبل نزول المسيح عليه السلام؛ لأنه لا يقبل الجزية من أحد.

(١) وظاهر من حديث صفوان بن عمرو أنه هو صحابي لكن هذا احتمال، والحديث على هذا يكون ضعيفاً لجهالة من حدث صفوان بن عمرو، وعلى فرض ضعفه يشهد له ما قبله.

٢- مدر: الطين الصلب. (شرح النووي على مسلم: ٦٩/١٨).

٣ الوبر: صوف أو شعر. (تحفة الأحوذى لعبد الرحمن المباركفوري: ٤١٩/٦).

٣٠- قتال اليهود:

فقد أخبر النبي ﷺ أن من علامات الساعة أن يقاتل المسلمون اليهود، وينتصرون عليهم حتى يختبئ اليهود خلف الحجر والشجر؛ فينطق الحجر والشجر بإذن الله، فيقال: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي ورأيي فاقتله كما جاء بذلك الخبر.

- أخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: "تقاتلون اليهود، حتى يختبئ أحدهم وراء الحجر، فيقول: يا عبد الله، هذا يهودي ورأيي فاقتله".

- أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة ؓ عن رسول الله ﷺ قال: "لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، حتى يقول الحجر وراءه اليهودي: يا مسلم، هذا يهودي ورأيي فاقتله".
- وفي رواية البخاري من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما-: "تقاتلكم اليهود، فتسلطون عليهم، حتى يقول الحجر: يا مسلم، هذا يهودي ورأيي فاقتله".

ولفظه عند مسلم: "لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمين اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهود وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله، إلا الغرقد^(١)؛ فإنه من شجر اليهود".

- وأخرج ابن ماجه وأصله عند أبي داود، ونحوه عند أحمد بسند حسن عن أبي أمامة الباهلي ؓ قال: "خطبنا رسول الله ﷺ، فكان أكثر خطبته عن الدجال وحذرنا، فذكر خروجه ثم نزول عيسى عليه السلام لقتله، وفيه: قال عيسى عليه السلام افتحوا الباب فيفتح، ووراءه الدجال معه سبعون ألف يهودي، كلهم ذو سيف محلي وساج (الطيلسان)، فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء، وينطلق هارباً، ويقول عيسى عليه السلام إن لي فيك ضربة لن تسبقتي بها، فيدركه عند باب اللد الشرقي، فيقتله، فيهزم الله اليهود، فلا يبقى شيء مما خلق الله يتوارى به يهودي، إلا أنطق الله ذلك الشيء، لا حجر ولا شجر ولا حائط، ولا دابة إلا الغرقد فإنها من شجرهم لا تنطق".

(أخرجه ابن منده بإسناد صحيح كما قال ابن حجر -رحمه الله-)

(١) قال النووي: "والغرقد": نوع من شجر الشوك معروف ببلاد بيت المقدس، وهناك يكون قتل الدجال واليهود، اهـ (شرح مسلم: ٤٤/١٨)

وقال أبو حنيفة الدينوري: إذا عظمت العوسجة صارت غرقة.
- قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في "فتح الباري": (١٠٣/٦): "وفي الحديث إشارة إلى بقاء دين الإسلام إلى أن ينزل عيسى عليه السلام، فإنه الذي يقاتل الدجال ويستأصل اليهود الذين هم تبع الدجال". وقال -رحمه الله- في "الفتح" (٦١٠/٦): "وفي الحديث ظهور الآيات قرب قيام الساعة من كلام الجماد من شجر وحجر، وظاهره: أن ذلك ينطق حقيقة، ويحتمل المجاز بأن يكون المراد أنهم لا يفيدهم الاختباء، والأول أولى.

٣١- خروج رجل من قحطان يُطِيعه الناس:

فمن علامات الساعة خروج رجل في آخر الزمان من قبيلة قحطان - وهي قبيلة عربية معروفة - وهذا الرجل يخرج عند كثرة الفتن، وتغير الزمان، ومن جملة ما ذكر النبي ﷺ عنه أنه يسوق الناس بعصاه. أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: **" لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه^(١)."**

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: ولعله " جهجاه " المذكور في الحديث الآخر، وأصل الجهجاه: الصياح، وهي صفة تناسب ذكر العصا. اهـ
وهذا كلام مرجوح، والذي يظهر أن هذا الرجل يخرج من قبيلة قحطان ليس هو الجهجاه، الذي قال عنه النبي ﷺ **" كما في " صحيح مسلم " : " لا تذهب الليالي والأيام حتى يملك رجل من الموالي، يقال له الجهجاه " .**
فذكر النبي أن الجهجاه من الموالي، والمعلوم أن كون الرجل الآخر من قحطان، أي من الأحرار الذين تنتهي أنساب أهل اليمن من حمير وكنده وحمدان وغيرهم إليهم.

• وهناك سؤال يفرض نفسه وهو:

هل هذا الرجل صالح يسوق الناس إلى الخير؟ أم أنه رجل شرير يسوق الناس إلى الشر؟
والجواب الذي يظهر: أن هذا الرجل صالح، ودليل ذلك: -

ما رواه أبو نعيم في " الفتن " بإسناد جيد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال **فيه: " ورجل من قحطان كلهم صالح " .**

وهناك حديث آخر يستأنس به، وهو حديث أخرجه الطبراني في " الكبير " وأبو نعيم وابن عساکر بسند فيه مقال عن قيس بن جابر عن أبيه عن جده ؓ أن النبي ﷺ قال: **" سيكون من بعدي خلفاء، ومن بعد الخلفاء أمراء، ومن بعد الأمراء ملوك جبابرة، ثم يخرج من أهل بيتي المهدي، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، ثم يؤمر بعده القحطاني، فوالذي بعثني بالحق ما هو دونه " .**

(١) قال الحافظ في " الفتح " (٧٧/١٣): " قال القرطبي في " التذكرة " : قوله: " يسوق الناس بعصاه " كناية عن غلبته عليهم وانقيادهم له، ولم يُرد نفس العصا، لكن في ذكرها إشارة إلى خشونته وعسفه بهم، قال: وقد قيل: إنه يسوقهم بعصاه حقيقة كما تساق الإبل والماشية لشدة عنفه وعدوانه. اهـ

٣٢- بقاء طائفة من المؤمنين ظاهرين على الحق إلى قيام الساعة:

أخرج البخاري ومسلم عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

" لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين^(١)، حتى يأتيهم أمر الله^(٢) وهم ظاهرون^(٣)."

وأخرج الإمام مسلم عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " لا تزال طائفة من أمتي

ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك."

وأخرج أبو داود عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " لا تزال طائفة من

أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين من نأواهم^(٤) حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال."

(صححه الألباني في صحيح أبي داود رقم: ٢١٧٠).

أخرج الإمام مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " لا يزال أهل

الغرب^(٥) ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة."

أخرج البخاري ومسلم عن معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنهما- أنه كان يخطب، فقال:

سمعت النبي ﷺ يقول: " من يرد الله به خيراً يُفقهه في الدين، وإنما أنا قاسمٌ ويُعطي الله،

ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيماً حتى تقوم الساعة - أو: حتى يأتي أمر الله."

أخرج عبد الله بن الإمام أحمد عن أبيه ورواه الطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: " لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين لعدوهم قاهرين، لا يضرهم

من جابهم إلا ما أصابهم من لأواء، حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك، قالوا: أين هم يا

رسول الله؟ قال: ببيت المقدس، وأكناف بيت المقدس."

وهذا الحديث واضح الدلالة على أن القوم المقاتلين الذائدين عن بيت المقدس؛ هم من نفس الطائفة

المنصورة، أهل السنة والجماعة، وفيه تحديد لأماكن وجودهم في آخر الزمان.

(١) قال البخاري -رحمه الله- في تفسير هذه الطائفة: هم أهل العلم.

وقال علي بن المديني: هم أهل الحديث، وكذا قال الإمام أحمد: " إن لم يكونوا أهل الحديث لا أدري من هم".

وقال النووي -رحمه الله- في " شرح مسلم" (٥٨٤/٤): يحتمل أن هذه الطائفة مفرقة في أنواع المؤمنين، منهم: شجعان مقاتلون، ومنهم: فقهاء، ومنهم: محدثون، ومنهم: زهاد، وأمرون بالمعروف ونهاون عن المنكر، ومنهم: أهل أنواع أخرى من الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين، بل قد يكونوا متفرقين في أقطار الأرض.

(٢) " حتى يأتيهم أمر الله" قال النووي -رحمه الله- والمراد بقوله ﷺ: " حتى يأتيهم أمر الله" من الريح التي تأتي فتأخذ روح كل مؤمن ومؤمنة، وأن المراد برواية من روى: " حتى تقوم الساعة" أي: تقرب الساعة، وهو خروج الريح. (شرح مسلم: ٥٨٣/٤).

وذكر الحافظ في " الفتح": " أن المراد بأمر الله هبوب تلك الريح، وأن المراد بقيام الساعة: ساعتهم، وأن المراد بالذين يكونون ببيت المقدس: الذين يحضرهم الدجال إذا خرج، فينزل عيسى إليهم فيقتل الدجال، ويظهر الذين في زمن عيسى، ثم بعد موت عيسى تهب الريح المذكورة".

(٣) " وهم ظاهرون" قال الحافظ في " الفتح": أي ظاهرون على من خالفهم، أي: غالبون، أو المراد بالظهور: أنهم غير مستترين بل مشهورين، والأول أولى.

(٤) " المناواة": المعادة. ونأواهم: يعني، ناهضهم وعاداهم.

(٥) " أهل الغرب": قال النووي -رحمه الله- في " شرح مسلم" (٥٨٥/٤): " قال علي بن المديني: المراد بأهل الغرب: العرب، والمراد بالغرب: الدلو الكبير، لاختصاصهم بها غالباً، وقال آخرون: المراد به: الغرب من الأرض، وقال معاذ: هم بالشام، وجاء في حديث آخر:

" هم ببيت المقدس"، وقيل: هم أهل الشام وما وراء ذلك، قال القاضي: " وقيل: المراد بأهل الغرب: أهل الشدة والجلد، وغرب كل شيء حده". (انظر شرح مسلم: ٥٨٥/٤)، (فتح الباري: ٢٩٥/١٣).

وجاء في حديث آخر أخرجه أبو يعلى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " لا تزال عصابةٌ من أمتي يُقاتلون على أبواب دمشق، وما حوله، وعلى أبواب بيت المقدس، وما حوله، ولا يضرهم خذلان من خذلهم، ظاهرين على الحق إلى أن تقوم الساعة ".

إشكال... والرد عليه:

ربما يقال: كيف نجمع بين قول النبي ﷺ في الأحاديث: " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق إلى يوم القيامة"، وكذلك قوله: " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك". كيف نجمع بين هذا وبين قول النبي ﷺ: " لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس، من لا يعرفون معروفًا، ولا ينكرون منكراً، ويتهارجون كما تتهارج الحمير". (رواه مسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه).

وكذلك قول النبي ﷺ: " لا تقوم الساعة إلا على حثالة الناس ". (رواه أحمد من حديث علياء السلمي)

وكذلك قول النبي ﷺ: " لا تقوم الساعة حتى لا يُقال في الأرض الله الله ". (مسلم)

وكذلك قول النبي ﷺ: " إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، ومن يتخذ القبور مساجد ". (رواه أحمد).

الجواب عن هذا الإشكال:

حاول بعض أهل العلم كالإمام الطبري الجمع بين هذه الأحاديث فقال: " إن من شرار الخلق الذين تقوم عليهم الساعة يكونون بموضع مخصوص، وأن موضعًا آخر يكون به طائفة يقاتلون على الحق لا يضرهم من خالفهم. اهـ.

لكن الذي تميل إليه النفس، ويدل عليه الدليل: أنه لا يخلو زمانٌ أو مكانٌ من هذه الطائفة الظاهرة على الحق، حتى يكون آخر الزمان يرسل الله عليهم ريحاً تقبض أرواحهم، فلا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق.

ويدل على ذلك ما أخرجه الإمام مسلم عن عبد الرحمن بن شماس المهرقي قال: "كنت عند مسلمة بن مخلد وعنده عبد الله بن عمرو بن العاص، فقال عبد الله: لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق، هم شرُّ من أهل الجاهلية، لا يدعون الله بشيء إلا ردّه عليهم، فبينما هم على ذلك أقبل عقبة بن عامر، فقال له مسلمة: يا عقبة، اسمع ما يقول عبد الله؟ فقال عقبة: هو أعلم، وأما أنا فسمعت رسول الله ﷺ يقول: "لا تزال عصابة من أمتي يُقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوّهم، لا يضُرُّهم من خالفهم، حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك".

فقال عبد الله: "أجل، ثم يبعث الله ريحاً كريح المسك، مسّها مس الحرير، فلا تترك نفساً في قلبه مثقال حبة من الإيمان إلا قبضته، ثم يبقى شرار الناس، عليهم تقوم الساعة".

وفي رواية أخرى عند مسلم من حديث النّوّاس بن سمعان ؓ وفيه:

"إذ بعث الله ريحاً طيبة، فتقبض روح كل مؤمن ومسلم، ويبقى شرار الناس يتهارجون^(١) تهارج الحُمر، فعليهم تقوم الساعة". (انظر فتح الباري: ١٣/١٩)، (شرح مسلم للنووي: ١/٣٢٠).

(١) يتهارجون تهارج الحمر: أي يقع الرجال على النساء بحضرة الناس كما تفعل الحمير، ولا يباليون أو يستحون من ذلك، وقيل: يتناورون، وقيل: يتقاتلون، أو يشمل ذلك كله.

٣٣- ریح طيبة تقبض أرواح المؤمنین قبل قیام الساعة:

فبعد ظهور الدَّجَال ونزول عیسی ابن مریم عليه السلام وقتله للدَّجَال وقرب قیام الساعة؛ یبعث الله ریحاً طيبة تقبض أرواح المؤمنین، صيانة لهم من الفزع والخوف الذي یكون عند قیام الساعة.

أخرج الإمام مسلم عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:

" یرج الدَّجَال... (فذكر الحديث، وفيه): " فیبعث الله عیسی ابن مریم كأنه عروة بن مسعود فیطلبه، فیهلكه، ثم یمكث الناس سبع سنین لیس بین اثنين عداوة، ثم یرسل الله ریحاً باردة من قِبَل الشام، فلا یبقى على وجه الأرض أحدٌ فی قلبه مثقال ذرة من خیر أو إیمان إلا قبضته، حتی لو أن أحدكم دخل فی كبِدِ جبلٍ ^(١) لدخلتهُ علیه حتی تقبضه ".

تنبيه:

ورد فی بعض الروایات أن الریح تأتي من الیمن.

فقد أخرج الإمام مسلم من حدیث أبي هريرة رضی الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " إن الله یبعث ریحاً من الیمن ألین من الحریر؛ فلا تدع أحداً فی قلبه مثقال ذرة من إیمان إلا قبضته ".

فاحتمال أنها ریحان شامية ویمنیّة، أو أن الریح تبدأ من إقليم ثم تصل إلى الآخر وتنتشر عنده

(انظر شرح مسلم للإمام النووي: ١/٣٢٠).

ولم یبقَ على الأرض إلا شرار الناس وعليهم تقوم الساعة

- كما جاء فی الحدیث الذي أخرجه الإمام مسلم عن النّوّاس بن سمعان رضی الله عنه قال:

" ذكر رسول الله ﷺ الدَّجَال... (فذكر الحديث وفيه): " فبینما هم كذلك، إذ بعث الله ریحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ویبقى شرار الناس یتهارجون فیها تهارج الحمر فعلیهم تقوم الساعة ".

- وفي رواية الإمام مسلم عن أم المؤمنین عائشة -رضي الله عنها- أن النّبی ﷺ قال:

" ثم یبعث الله ریحاً طيبة فتوفی كل من فی قلبه مثقال حبة خردلٍ من إیمان، فیبقى من لا خیر فیهِ، فیرجعون إلى دین آبائهم ".

(١) كبِدِ جبل: أي وسط جبل.

فلا يبقى إلا شرار الخلق وعليهم تقوم الساعة

- وجاء في " صحيح مسلم" أيضاً: " لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس " .

- ففي " مسند الإمام أحمد" عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: " لا تقوم الساعة حتى يأخذ الله شريطته^(١) من أهل الأرض، فيبقى فيها عجاج^(٢)، لا يعرفون معروفاً، ولا ينكرون منكراً " .

(قال الهيثمي في " المجمع " (١/٨): رواه أحمد مرفوعاً وموقوفاً ورجالهما رجال الصحيح).

٣٤- عودة بعض قبائل العرب لعبادة الأصنام:

كانت جزيرة العرب قبل مجيء النبي ﷺ تعبد الأصنام، وتشرك بالله؛ فلما أرسل الله رسوله ﷺ أقام التوحيد، وهدم الشرك، وكسر الأصنام، لكن مع مرور الزمان، وابتعاد الناس عن دينهم سيجعلهم الشيطان يقعون في الشرك شيئاً فشيئاً، حتى يصل بهم الأمر إلى درجة أنهم سيعبدون الأوثان كما كان الأمر قبل مجيء الإسلام، وهذا ما أخبر به الحبيب النبي ﷺ.

فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: " لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات^(٣) نساء دؤس^(٤) على ذي الخلصة^(٥) " .

وأخرج الترمذي عن ثوبان ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: " لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد الأوثان، وإنه سيكون في أمتي ثلاثون كذاباً، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي " . (صحيح الجامع: ٧٤١٨)

وفي الحديث أن الشرك سيرجع إلى بعض بلاد العرب مرة ثانية، ولا يلزم من رجوعه أن يعم؛ فقد قال النبي ﷺ: " لا تزال طائفة من أمتي على الحق يقاتلون... " . الحديث، اللهم إلا أن يقال: أن يعم وعلى أهله تقوم الساعة؛ لقول النبي ﷺ: " لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس " . (مسلم).

(١) الخيار من الناس.

(٢) العجاج: الغوغاء، والأراذل، ومن لا خير فيهم، وأحدهم: " عجاجة "

(٣) قوله: " تضطرب أليات " فيها قولان: الأول: أن أعجازهن تضطرب حول ذي الخلصة من الطواف حوله، أي: أنهم يكفرون ويرجعن إلى عبادة الأصنام وتعظيمها. الثاني: أن النساء يركبن الدواب من البلدان إلى الصنم المذكور، فتضطرب ألياتهن.

(٤) دؤس: هي قبيلة من قبائل اليمن.

(٥) ذو الخلصة: طاغية دؤس التي كانوا يعبدونها في الجاهلية.

وهذا الأخير هو الراجح.

ويؤيد هذا ما أخرجه الإمام مسلم عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " لا يذهب الليل والنهار حتى تُعبد اللات والعزى، فقلت: يا رسول الله، إن كنت لأظن حين أنزل الله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩] أن ذلك تاماً؟ قال: إنه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم يبعث الله ريحاً طيبة فتوفى كل من في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، فيبقى من لا خير فيه، فيرجعون إلى دين آبائهم ".

وفي " صحيح مسلم" من حديث عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال: " ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، حتى لو كان أحدهم دخل في كبِدِ جبلٍ لدخلته عليه حتى تقبضه، ويبقى شرار الناس في خفة الطير، وأحلام السباع^(١)، لا يعرفون معروفاً، ولا يُنكرون منكراً، فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبيون؟ فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم في ذلك دارٌ رزقهم^(٢)، حسنٌ عيشهم، ثم ينفخ في الصور، فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا^(٣)، قال: وأول من يسمعه رجل يلوط^(٤) حوض إبله، قال: فيصعق، ويصعق الناس... ". الحديث.

(١) والمعنى: أن يكونوا في سرعتهم إلى الشر وقضاء الشهوات والفساد كطيران الطير، وفي العدوان وظلم الناس في أخلاق السباع الضارية.

(٢) دارٌ رزقهم: أي في رفاهية العيش وخصوبته.

(٣) أصغى ليتا: أي: أمال، والليت: صفحة العنق، وهي جانبه.

(٤) أي يطينه ويصلحه.

وبعد...

فهذا آخر ما تيسّر جمعه في هذه الرسالة.
وأسأل الله - تعالى - أن يكتب لها القبول، وأن يتقبلها منّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومن أعان على إخراجها ونشرها..... إنه ولي ذلك والقادر عليه.
هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمني ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صواباً فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي:

وإن وجدت العيب فسد الخلا جلّ من لا عيب فيه وعلا
فاللهم اجعل عملي كله صالحاً ولوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه نصيباً
والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
هذا والله - تعالى - أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك